

جوهرا الاسلام

العدد 3 / 4 - السنة 22
1443 هـ / 2022 م

الثلث 5 د.ت - 5 أورو



جواهر الإسلام

مؤسس المجلة فضيلة الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

المدير ورئيس التحرير

الأستاذ محمد صالح الدين المستاوي

العنوان	28 نهج جمال عبد الناصر - تونس 1000
الهاتف الفاكس	216.71.327.130 216.71.432.233
البريد الإلكتروني الموقع الإلكتروني	mestaoui.s@gnet.tn www.jawhar-al-islam.info
الحساب الجاري بالبنك العربي لتونس (الجزيرة)	010000211110000238106
ISSN	0330-4957

الاشتراك للمؤسسات

بتونس: 50.000د

بالخارج: 50أورو

الاشتراك بتونس

للأفراد: 30.000د

بالخارج: 40أورو

التمن للأفراد

بتونس: 5د

بالخارج: 5أورو

تم طبع وإنجاز هذا الكتاب في

الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم



12 نهج الخيرية - 1002 تونس البليدير

الهاتف 71 901 933 - 71 904 380

البريد الإلكتروني sotepagraphic@yahoo.fr

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ



جواهر الإسلام

مؤسس المجلة فضيلة

الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

المدير ورئيس التحرير

الأستاذ محمد صالح الدين المستاوي

المحتوى

- 6 الافتتاحية : الإسلام أمن وسلام للمسلمين وللناس كافة
رئيس التحرير
- 8 تفسير آيات من القرآن الكريم
بقلم فضيلة الشيخ الحبيب المستاوي
- نحن إن كنّا لا نقود كتائب فإننا نحمل كتابا وإن كنّا لا نرفع السلاح فإننا نرفع
دعوة الصلح والإصلاح..... 11
بقلم فضيلة الشيخ عبد الله بن بيّه
- 19 نَعَتْ الإِرْهَابُ بـ «الإِسْلَامِيَّ» إِرْهَابٌ وَعُدْوَانٌ
بقلم فضيلة الأستاذ الدكتور / أبو لبابة حسين
- 23 مفهوم البدعة (بين المحددات الضابطة والأخلال المنهجية)
بقلم الشيخ إبراهيم أحمد المقرئ
- 33 داءُ العَصْرِ الحديث والوقايةُ منه خيرٌ من العلاج
بقلم الشيخ صالح العُود - باريس
- 35 لقد بلغ محمد ﷺ في المعارج المتعالية شأواً بعيداً.....
بقلم فضيلة الدكتور أحمد الطيب (شيخ الأزهر)
- 39 القصيدة السحابية في مدح خير البرية
لناظمها الشاعر زكرياء بوسحاب
- 40 الحديث التاسع عشر وصايا محمدية لتركيز العقيدة الصحيحة السوية.....
بقلم الأستاذ محمد صالح الدين المستاوي

48..... الحياة الإيمانية

بقلم المفكر الهندي وحيد الدين خان - رحمه الله

51..... مفاهيم إسلامية مخاطر التوزع والتشتت على الأمة ودينها

بقلم الشيخ الحبيب المستاوى - رحمه الله

54..... المعرفة الربانية

بقلم الدكتور نجم الدين خلف الله - فرنسا

56..... من أعلام الزيتونة : المختار الدلالي العالم والفقير

بقلم الأستاذ جهاد شيخ علي

60..... في وداع فضيلة الشيخ فاتح زقلام رحمه الله (ليبيا)

بقلم الأستاذ منصف بن منصور (المغرب)

خطبة في فضل شهر رمضان من كلام ابن عباد الرندي الفاسي الشاذلي

63..... رضي الله عنه من العهد المريني

الدكتور كنيت عبد الهادي هفركامب

يسألونك قل : مسائل في الصوم والصلاة

88

بقلم الشيخ الحبيب النفطي

90..... البيان الختامي للمؤتمر الأفريقي لتعزيز السلم

نص بيان القاهرة الصادر عن المؤتمر الثاني والثلاثين للمجلس الأعلى للشؤون

الإسلامية

99..... صديقي ابراهيم عيسى ... إلا هذه

بقلم صالح الحاجة

الافتتاحية :

الإسلام أمن وسلام للمسلمين وللناس كافة

يصدر هذا العدد (3/4) من السنة 21 من مجلة جوهر الإسلام والمسلمون يتهيؤون لاستقبال شهر رمضان شهر الصيام وشهر نزول القرآن الذي هو موسم للتزود بخير زاد مصداقا لقوله جل من قائل ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ويتضمن العدد خطبة جامعة في بيان فضل شهر رمضان لابن عباد الرندي (شارح حكم ابن عطاء الله وصاحب الرسائل الكبرى والصغرى وعديد التأليف الأخرى) وقد تولى تقديم وتحقيق هذه الخطبة الجامعة الدكتور كنيث عبدالهادي هنركامب نقدمها للقراء وللأئمة والمرشدين فقد تغنيهم عن العودة إلى سواها ويمكنهم ان يستفيدوا منها بما ينبغي ان يكون عليه أداء المسلمين لهذه الشعيرة من شعائر الإسلام التي استحققت دون سواها ان ينسبها الله اليه كما جاء في الحديث الشريف (كل عمل ابن ادم له الا الصوم فهو لي وانا اجزي به) وما ذلك الا لان الصيام هو العبادة التي لا يعترىها الرياء وهو الشرك الخفي والله تبارك وتعالى لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لم يشاء.

لقد اردنا بنشر هذا الخطبة الجامعة في بيان فضل رمضان لابن عباد بمناسبة حلول شهر رمضان ان يستتير بها الصائمون ليرتفعوا بصومهم من صوم العادة إلى صوم العبادة وهو الصوم الذي لا يكتفي من يؤديه بمجرد الامتناع عن الاكل والشرب بل يتجاوز ذلك إلى الامتناع عن كل ما نهى الله عنه من منكر الاقوال والافعال ويندفع به إلى الاكثار من أفعال الخير. فشهر رمضان هو موسم ومضمار الاجتهاد في القيام بكل ما يرضي الله ويتنافس فيه المتنافسون لينالوا الأجر العظيم والثواب الكبير الذي وعد به الله عباده الصائمين لشهر رمضان والذي اعظمه اكرامه لأمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام بان جعل من بين ليالي العشر الأواخر منه ليلة القدر التي أنزل الله فيها كتابه العزيز القرآن الكريم المعجزة الخالدة. ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾. انها ليلة تنزل فيها الملائكة والروح على عباد الله المؤمنين الصائمين في النهار القائمين في الليل تغشاهم بالسكينة والأمن طيلة هذه الليلة المباركة بإذن ربهم. إنها ليلة سلام حتى مطلع الفجر. ليلة يتكرم الله بها على عباده المؤمنين يكررها لهم في رمضان من كل عام إلى أن يرث الله ومن عليها وهو خير الوارثين.

و السلام نعمة عظمى تأتي مباشرة في الأهمية بعد نعمة الايمان. فالسلام والامن من الخوف والاطعام من جوع ذكر الله بهما عباده في عديد الآيات من كتابه العزيز

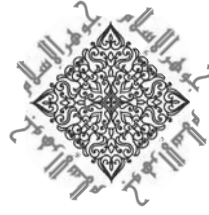
وأحاديث رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام منها قوله جل من قائل ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ وقوله عليه الصلاة والسلام «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرِّهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوْتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَائِفِيرِهَا». وأمة الإسلام هي أمة السلام فالله هو السلام وتحية المسلمين هي السلام التي اذا افشوها بينهم تحابوا (أفلا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم) كما جاء في الحديث الصحيح.

والجنة التي هي دار السلام هي عاقبة المتقين الذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والذين لا تغتر السنتهم بالدعاء إلى الله كي يجعلها دار قرارهم (اللهم انت السلام ومنك السلام فحينا بالسلام وادخلنا الجنة دار السلام).
والمسلم داعية سلام وهو لا يكون مسلما حقا الا اذا سلم الناس (كل الناس) من لسانه وبده. هكذا كان المسلمون في اغلب مراحل تاريخهم امنا وسلاما فيما بينهم وامنا وسلاما مع غيرهم.

وفي هذا العدد بحوث قيمة لأعلام من كبار علماء الامة: (الكلمة التأطيرية لفضيلة العلامة عبد الله بن بية رئيس منتدى تعزيز السلم في ابوظبي التي افتتح بها المؤتمر الافريقي الثاني لتعزيز السلم الذي انعقد في نواكشوط. والبيان الختامي الصادر عن المؤتمر. وبحث عن مفهوم البدعة لفضيلة الشيخ إبراهيم احمد مقري. وكلمة فضيلة الامام الأكبر الدكتور احمد الطيب شيخ الازهر في ذكرى مولد من بلغ في سلم المعارج المتعالية شاوا بعيدا سيدنا محمد رسول السلام عليه الصلاة والسلام. وبيان القاهرة الصادر عن المؤتمر الثاني والثلاثين للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية) وجميعها تركز على توعية المسلمين بضرورة تمثل وتجسيم قيم دينهم التي جعلت منهم امة واحدة اخوة بكل ما توجهه كلمة الاخوة من واجبات وجسدا واحدا وبنينا مرصوفا لا يسمحون لاحد ان يخرق السفينة التي يركبونها لان في ذلك نجاتهم ونجاتهم جميعا. ولا يتسببون في الحاق ادنى ضرر ببعضهم وبغيرهم. يبذلون السلام للناس كافة على مختلف اعراقهم واديانهم.

ولا تخفى على احد الحاجة الماسة في هذه المرحلة الدقيقة التي تمر بها الامة إلى التذكير بكل ذلك وتاصيله وبلورته وتعميق الوعي به من طرف اهل الذكر من علماء الامة خصوصا في صفوف الشباب الذين استغلت بعض تيارات التطرف والإرهاب ظروفا حرجية يمرون بها (ضعفا معرفيا وفقرا وفاقا وبطالة وتهميشا) لتزج بهم في متاهات الفتنة والاقتتال بالاستناد إلى افهام مغلوطة لا تمت إلى سماحة الدين ورحمته باية صلة.

فعسى ان يجد القارئ فيما يتضمنه هذا العدد من مجلة جوهر الاسلام من بحوث وابواب قارة ما يحقق المامول والمطلوب والله الموفق لما فيه مرضاته سبحانه وتعالى.



تفسير آيات من القرآن الكريم

بقلم فضلية الشيخ الحبيب المستاوي - رحمه الله

يقول الله تبارك وتعالى في سورة النور بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم لله الرحمن الرحيم :

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾⁽¹⁾.

صدق الله العظيم

روى الربيع ابن انس عن ابي العالية ان الصحابة بعد الهجرة إلى المدينة وبعد ان امروا بالجهاد كانوا على درجة كبيرة من اليقظة الدائمة يعيشون على اعصابهم يمسون في السلاح ويصبحون في السلاح فصبروا على ذلك ما شاء الله ثم ان رجلا منهم قال يا رسول الله انبقى ابد الدهر خائفون هكذا؟ اما ياتي علينا يوم نؤمن فيه ونضع عنا السلاح؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لن تصبروا الا سيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملاء العظيم ليست فيه حديده) وانزل الله هذه الاية التي كانت طلائع النصر وبواكير الغد المشرق ولم لا تكون كذلك وهي قد اشتملت وعدا

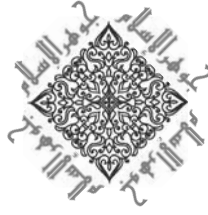
(1) سورة النور - الآية 55.

قاطعاً ممن لا يخلف وعده بان يحقق لعباده المؤمنين كل ما تتوق اليه انفسهم في هذه الحياة وفي الدار الآخرة ولكن من هم هؤلاء الذين يحق لهم ان يلقبوا بالمؤمنين؟ وما هو نوع هذا العمل الصالح الذي يشكل مع الايمان الركبين الاساسيين للنصر والتمكين وابدال الخوف اماناً والذل عزاء، ان الايمان الذي تعنيه آيات القرآن الكريم والذي يقتضيه المنطق الصحيح والتفكير الراجح هو ذلك الايمان الراسخ المكين الذي لا يتطرق اليه شك ولا يتسرب إلى صاحبه ضعف او تردد وهو الذي يشمل الاركان الاساسية للايمان التي هي ايمان بالله رباً تفرد بالالوهية وحده واستحق العبادة واختص باوصاف لا يشاركه فيها سواه والايمان بكل ما جاء به رسله الذين اصطفاهم على خلقه واوفدهم بتعاليم من عنده يبلغونها بامانة وصدق ثم بعد كل هذا يؤمنون بانسانيتهم المثلى التي هي مستودع طاقة الهية عجيبة تسخر الكون وما فيه لفائدة الانسان وتعمير كونه العجيب ومستودع خير وبر واحسان يزرع المحبة والوئام بين كل ابناء البشر وعلى اختلاف اجناسهم والوانهم ومعتقداتهم هذه الاركان الملتحمة المتصلة غالباً هي التي يبنى عليها الايمان الصحيح المثمر فيتولد عنه عمل صالح يحقق اهداف الخير ويشمل جميع ما ينظم علاقات الانسان بربه وعلاقات الانسان بانسانيته المثلى اي بنفسه وعلاقاته بجميع افراد نوعه وبالكائنات الحية التي هي تحت نظرته وهي بعض آلات عمله واذا ما تحقق هذا الايمان باركانه وشروطه وتحقق العمل الصالح في جميع مجالاته وبكل انواعه استحق المؤمنون العاملون من اجل الصلاح ان يمكنهم ربهم وان يجعلهم خلفاء الامناء الذين ينفذون ارادته ويصلون ما امر الله به ان يوصل وينفذون احكامه في ارضه وعلى عباده وهيئات ان يكون الاستخلاف والتمكين مجرد قهر وغلبة وامتلاك بل هي توجه إلى البناء والتعمير وتحقيق الغاية التي رسمها الله للبشرية كي تسير عليها من غير ارتطام ولا تعثر واذا توجهت إلى الهدم والافساد والى الظلم والقهر انقلبت إلى بلاء وابتلاء وسرعان ما يتبر ذلك البناء تبييراً

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ اجل لقد حقق الله للمؤمنين الصالحين من امم سبقتنا هذا الحلم اللذيذ فكيف لا يحققه لنا ونحن على شاكلتهم آمناً كما آمنوا وعملنا كما عملوا ولا بد ان تجمع بين ايدينا جميع الغايات التي نطمح اليها وليست هي الاستخلاف والتمكين

فقط اذ ان ذلك قد يكون إلى تحقيق الامال المادية اقرب منه إلى تحقيق المبادئ والمثل التي تحتل الجانب الاهم من شعور الانسان بالسعادة والراحة فلا عجب ان يقول الله ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾ فيؤكد لهم حصول هذا الامل الحبيب بما اكد به الجملة التي سبقته وما اروع القرآن واعظمه اذ تاتي كلماته وآياته ضوابط لا تسمح بزيادة لمستزيد ولا باستفهام لمستفهم ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾ فلنحلق قليلا مع هذه الاية لنرى كيف اطلق التمكين ليتجاوز النصر على الخصوم الذي هو تمكين في النفوذ والقوة إلى التمكين في قلوب اصحابه الذي هو عملية داخلية لا يستطيع الانسان مهما اوتي من قوة ان يقوم بها لنفسه او لغيره في حين ان التمكين الخارجي قد يطمع في تحقيقه كل قوي ثم فلننظر كيف اضيف الدين إلى اهله واصحابه اولا وكيف نسب الارتضاء والاختيار إلى المشرع الاوحد سبحانه (دينهم الذي ارتضى لهم) ما ذلك الا ليجعلهم في مسالة التشريع والتقنين يقفون عند حد الفهم والاستنباط والاجتهاد ولا يتجاوزونها إلى درجة الابتكار والاختيار بل في الاعتناق والعمل والتطبيق فهو لهم وهم له

وهل تتم للانسان سعاداته الكاملة اذا استخلف في الارض وانتصرت مبادئه واهدافه ولكنه يتوقع الخطر في كل ثانية من عدو قوي يتربص به الدوائر ويتحين له الفرص؟ ابدأ إن سعادته منقوصة اذا لم تبعد عنه اشباح الخوف والخطر لذلك قال الله تعالى ﴿وَلَيَبْذِلَنَّهُمْ مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ ويعلل المولى كل ذلك بعلته الوحيدة وهي ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ ومن عبده بصدق واخلاص ولم يشرك معه ما يخاف منه ولا ما يطمع فيه ما يحب ولا ما يرى نافعاً فهو حري بان تكفل له كل رغائبه وان ينصر على جميع اعدائه وبان يعيش آمناً مطمئناً ياتيه رزقه رغداً من كل مكان. وهذا الوضع الذي اصبح يعيش عليه بعد تحقيق كل الغايات وانتفاء جميع المخاوف يدعوه لمواصلة السير مع هذا الطريق المستقيم الذي لا ترى فيه عوجاً ولا امناً، فاذا ما ارتد على عقبه وتكرر للمبادئ والاهداف فانه يعتبر من اعظم الكافرين بالنعمة المتكرين للجميل الذين يستحقون من الله كل هجاء وذم بل ومن الناس اجمعين ومن ضمائرهم ان كانت لهم ضمائر وقلوب، فلا عجب ان تختم الايات بهذه الخاتمة التي تجيء وفقاً للتناسق الطبيعي المنطقي يقول الله بعد تلك البشارات والوعود الصادقة المتحققة والتي رآها الناس راي العين يقول ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ نعوذ بالله من السلب بعد العطاء ومن الفقر بعد الغنى ومن الذل بعد العز ومن الكفر بعد الايمان.



نحن إن كنّا لا نقود كتائب فإننا نحمل كتابا وإن كنّا لا نرفع السلاح فإننا نرفع دعوة الصلح والإصلاح⁽¹⁾

بقلم فضيلة الشيخ عبد الله بن بيّه

يسعدني في مستهلّ كلمتي هذه أن أتقدم باسم الحاضرين بجزيل الشكر لفخامتكم ولحكومة الجمهورية الإسلامية الموريتانية على الرعاية الكريمة لهذا المؤتمر. إن متدى أبو ظبي للسلم، ليعتز بهذه الشراكة الهامة والضرورية التي تثنى عليها دولة الإمارات العربية المتحدة التي ما فتئت تدعم جهود السلام والمصالحات في كل دول العالم وبخاصة في إفريقيا ودول الساحل انطلاقاً من رؤيتها الثابتة لأهمية التعايش والتصالح والتسامح وهي رؤية ترى أنه لا مستقبل لعالم يمتلك أسلحة الدمار الشامل إلا في ظلال السلام الدائم.

كما يسرني أن أرحب باسم المتدى بضيوفنا من نخبة أهل السلوك المربين والقراء المجودين والمحدثين المبرزين والفقهاء المستبصرين والأكاديميين المبدعين، إن هذا المزيج يمثل أهل الحكمة الذين نعول عليهم لإثراء هذا المؤتمر بعلمهم وحصافتهم في تأليف القلوب وتنوير العقول.

إن ما حظي به إعلان انواكشوط في سنة 2020م من قبول واستحسان وما ناله من إشادة وتنويه، على المستويين الإقليمي والدولي من جهات على رأسها الاتحاد الإفريقي الذي تبنى على مستوى قمته في فبراير من نفس السنة مضامين (إعلان

(1) الورقة التأسيسية التي افتتح بها فضيلة الشيخ عبد الله بن بيّه رئيس متدى أبو ظبي للسلم المؤتمر الإفريقي لتعزيز السلم : بذل السلام - نواكشوط، موريتانيا 8 - 10 فيفري 2022.

انواكشوط) ليبرهن على وجهة المبادرة وراهنية الموضوع. كما يعكس هذا التقدير المكانة التي تحظى بها موريتانيا بمحاضرها وحواضرها وماضيتها وحاضرها، في ظل قيادتكم الرشيدة فخامة الرئيس. ندعو الله تعالى أن يبقى موريتانيا خيمة يلتقي في ظلها العلماء والحكماء ومنبراً يدعو إلى الخير والسلام، ورائداً إقليمياً يسعى في المصالحات والتوافقات.

الجائحة وروح ركاب السفينة

يأتي مؤتمرنا لهذا العام وقد مرّ العالم، ولا يزال يمر، بجائحة كورونا التي أكدت أولوية البحث عن قيم التضامن فالبشر اليوم مثل ركاب السفينة يحكمهم مصير مشترك. وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً للمجتمع بركاب سفينة من طابقين، أراد أصحاب الطابق الأسفل أن يعملوا خرقاً في الجزء الخاص بهم، وهنا ينبه الحديث على أن أهل الطابق الأعلى لو (تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا). المصير المشترك يعني مسؤولية مشتركة.

واجب بذل السلام للعالم

لقد اخترنا لمؤتمرنا هذا العام شعاراً هو: (بذل السلام للعالم)، وهو مقتبس من الحديث الصحيح المحكوم له بالرفع الذي يرويه عمار بن ياسر: «ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من إقتار». لماذا اخترنا هذا العنوان؟ البذل أكثر من مجرد العطاء، أما كلمة «العالم» في لغة العرب فتعني كل ما سوى الباري جل وعلا:

العالم اسمٌ ما سِوى الديانِ * من نوعي الأعراضِ والأعيانِ⁽¹⁾

وأما السلام هنا فليس مجرد لفظ السلام، بل هو الأخلاق وأسباب المحبة كما أشار إلى ذلك الحافظ بن حجر.

فالمسلم الحق مطلوب منه أن يبذل السلام للعالم كله إنساناً وحيواناً وبيئة. أن يكف يده عن الأذى، ولسانه عن نشر الفتن، وقلبه عن الكراهية، ففي الحديث الصحيح: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ مِنَ الْمُسْلِمِ؟ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَفِي رَايَةِ (مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُؤْمِنُ مِنْ أَمْنِهِ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ)⁽²⁾،

(1) إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة للإمام شهاب الدين المقري التلمساني، ت 1041 هـ.

(2) النسائي.

وهذه الرواية التي وردت فيها كلمة الناس هي صحيحة أيضاً، وهي تؤصل لمبدأ (عصمة الآدمي) كما يسميها الحنفية.

فهذا هو التعريف النبوي للمسلم الحق والمؤمن الحق والمجاهد الحق، وهذا الواجب العيني على كل مسلم لا يحتاج إلى شروط ولا أسباب لأنه إما ترك أو عمل في النفس.

تحت هذه العناوين النبوية الشريفة ننتقل وفي ظلالها نجتمع، لنقول إن الحروب والفتن تخالف الشرع وتناقض المصالح والقيم الإنسانية.

إنّ هذا اللقاء الإفريقي له مهمة واحدة هي السعي إلى الخير والبحث عن مسوغات السلام.

طموحنا كبير، فنحن وإن كنا لا نقود كتائب فإننا نحمل كتباً، وإن كنا لا نرفع السلاح فإننا نرفع دعوة الصلح والإصلاح: (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس).

أسئلة الوقت

إنّ للأزمات التي تعاني منها منطقتنا أبعاداً سياسية وتنموية واجتماعية وعليه فإن حلولها لا بد أن تكون شاملة، غير أن البعد الذي نحن بصددده هنا هو البعد الفكري، فإذا صلحت الأفكار صحت الأعمال. اسمحوا لي أيها الحضور الكريم أن أسأل معكم أسئلة محددة هي بمثابة مفاتيح وإجابتها هي الهدف الذي نسعى إليه في كل جهودنا: كيف نطفيء الحرائق الملتهبة في أنحاء القارة؟ كيف نوقف دائرة العنف والإرهاب المفرغة التي لا يُعرف طرفاها، ولا يدري القاتل فيها لم قتل ولا المقتول فيم قُتل؟

إنّ هذه الأسئلة يمكن أن توجه إلى ثلاث جهات رئيسية: هم العلماء، وأولوا الأمر، والشباب.

واجب العلماء: التبيين وتحديد المفاهيم

الجهة الأولى هم العلماء العارفون بمقاصد الشريعة. نخاطبهم لندعوهم إلى الالتفات إلى فقه السلم ففيه إحياء لجوانب مهمة من التوجيهات القرآنية والنبوية ومناحٍ من السنن والسيرة المطهرة وضبط للمفاهيم الشرعية.

فالمفهوم الشرعي - كما لا يخفى على العلماء - محكوم بخطابين خطاب تكليف

وخطاب وضع. فإذا اختلّ خطاب الوضع بشروطه وأسبابه وموانعه، اختل خطاب التكليف فينقلب المطلوب محرماً، بل إن الصلاة والصوم قد يحرمان إذا لم يستكملا شروطهما وأسبابهما وانتفاء موانعهما، وهذا معلوم لديكم. وكذلك الجهاد وكل المصطلحات الشرعية.

إذاً فلا بد من تحديد وتجديد جملة من المفاهيم بكل قوة ووضوح وضبط علاقتها بالمصالح والكشف عن ضوابطها وحدودها الشرعية في ضوء النصوص الحاكمة والمقاصد الناطمة التي تعتبر (قبلة المجتهدين) كما يقول الغزالي.

إن كثيراً مما يعيشه الناس اليوم من فتن مرده إلى التباس مفاهيم دينية، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد وطاعة أولي الأمر وهي مفاهيم كانت في الأصل سياجا على السلم وأدوات للحفاظ على الحياة ومظهرها من مظاهر الرحمة الربانية التي جاء بها الإسلام على لسان نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم، فلما فهمت على غير حقيقتها وتشكلت في الأذهان بتصور يختلف عن أصل معناها وصورتها، انقلبت إلى ممارسات ضد مقصدها الأصلي وهدفها وغايتها.

إنكم أيها العلماء خير خلف لخير سلف، فكونوا دعاة للسلام ولا يكن في أنفسكم حرج بسبب فروع لا أصول لها ودعاوى لا بينات عليها، فأشجار السلام فروعها ظليلة ودوحاتها باسقة:

فلا تعدّ منها باسقا ومظلا

إن الدعوة إلى السلام هي دعوة إلى إحياء النفس (ومن أحيّاها فكأنما أحيّا الناس جميعاً)، وهي من واجباتنا تجاه إخواننا ففي الحديث الشريف: (مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ⁽¹⁾). وإن من أعظم النفع أن نمنع إخواننا من الفتن ونحميهم من الاقتتال والقتل.

مؤتمرنا هذا هو منصة لإعلان الموقف الشرعي وفرصة للعلماء أن يدعوا كل حامل سلاح أن يضع سلاحه، وكل خارج عن الجماعة أن يعود إلى مجتمعه، وكل من كفر الناس أن يعود إلى منطق الشرع، فتكفير المسلم كقتله كما ورد في الحديث⁽²⁾.

العلماء مهمتهم هي التبيين ومعنى ذلك أن كل حكم يتعلق بثلاث جهات هي

(1) صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: 2199.

(2) رواه البخاري.

جهات التبیین والتعیین والتمکین:

فالتبيين هو موقف لإظهار الحكم للناس، أما التعيين فيتعلق بأعيان من يتجه الحكم إليه، فالأول هو مهمة العلماء والفقهاء، وأما الثاني فهو مهمة القضاة، وأما الثالث فهو مهمة الجهات التنفيذية، فما نحن بصدد هنا هو التبيين، فلكل جهة مهامها ولكل مرتبة مقامها.

أهمية المصالحات والحوارات

الجهة الثانية التي نوجه إليها سؤال إطفاء الحريق، هم أولوا الأمر الذين عليهم مهمة التمكن.

وفي هذا السياق أرى أن من أهم ما ينبغي أن نبرزه في هذا الملتقى هو الدعوة إلى إعادة الفاعلية لمبدأ الحوار والمصالحة، انطلاقاً من قناعتنا الراسخة التي غدت كثير من الجهات الدولية تشاركنا فيها، بأن الحلول العسكرية والأمنية وحدها غير كافية، وأنه آن الأوان لاستعيد التراث الإفريقي الأصيل في التسامح وفي حل المشكلات بالحوار والوساطات والمصالحات بالحكمة تحت أشجار البواباب (الدوم) أو النخيل المثمرة.

إن التنازلات والملائمت من صميم الشرع ومنطق العقل، هكذا علمنا النبي صلى الله عليه وسلم من خلال صلح الحديبية، ولا يعتبر هذا النوع من التنزيل للقيم تنازلاً عن حقيقة أو تخلياً عن حق، بل هو بحث عن أنجع السبل لإحقاق الحق ورد الظلم، وحتى لا ينقلب المظلوم ظالماً.

بالحوار يُبحث عن المشتركات والحلول الوسط التي تضمن مصالح الجميع، وتدرء الحسم العنيف، وتبتكر الملائمت والمواءمات، التي هي من طبيعة الوجود، ولهذا أقرها الإسلام، وفق موازين المصالح والمفاسد المعتمدة.

السلام طريق إقامة الواجبات الدينية

أما الجهة الثالثة التي نتوجه إليها بالخطاب فهم الشباب لنقول لهم:

إن دعوة السلم هي دعوة محبة وشفقة على أبنائنا الشباب من أن يضيعوا أعمارهم وأوطانهم في تدمير ذاتي لا تعمير، وفي ضياع لا صلاح. إنه تذكير لهم بأن الأجدر بهم أن يعمرُوا الأوطان ويرفعوا البنين وقيموا الصلاة ويرفعوا الأذان وأن يحيا الأَرْض بالزرع والعمل الصالح ونشر العلوم وبر الوالدين.

فالجهد كما شرعه الله عز وجل ومارسه النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الراشدون، كان من أجل السلم والرحمة، وأما هذا الذي هم فيه: فهو بغى وخروج على الناس بالسيف، لم تتوفر فيه أسباب الجهد ولم تتوافر فيه شروطه، وهو عبث لا يحق حقاً ولا يبطل باطلاً، بل يزهق النفوس البريئة ويؤجج الاقتتال الداخلي والحروب الأهلية التي حذر منها النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع: (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) وكما قال الإمام أحمد لمن شاوروه في الخروج على السلطان في فتنة خلق القرآن (لا تقتلوا أنفسكم وتقتلوا المسلمين معكم).

وهو فساد في الأرض ينغص معاش الناس ويروّع أمنهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾. إن سبيل الله، نجاة وليست فوتاً، وحياة وليست موتاً، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾، وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال مرّ على النبي صلى الله عليه وسلم رجلٌ فرأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلده ونشاطه، فقالوا: يا رسول الله لو كان هذا في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله وإن كان خرج يسعى رياءً ومفاخرةً فهو في سبيل الشيطان)⁽¹⁾.

أما تطبيق الشريعة الذي يرفعه البعض شعاراً فأول تطبيق للشريعة هو إحلال السلام وإيقاف الحرب.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بد من مراعاة شروطه الخمسة واعتبار مراتبه الثلاث، وفي هذا يقول سيدي أحمد زروق رحمه الله: (والتعرض للأمور الجمهورية -وهذه عبارته- كالجهد وردّ الظّلامات وتغيير المناكر بطريق القهر والاقتدار دون يد سلطانية ولا ما يقوم مقامها من الخطط الشرعية مفتاح باب الفتنة وإهلاك للمساكين بغير حق).

(1) صحيح الترغيب والترهيب، الحديث رقم 1692، باب الترغيب في الاكتساب بالبيع، ج 2، ص 306.

وفي نفس المعنى يقول أحد مصلحي القارة الإفريقية الكبار، الشيخ عثمان بن فودي السوكوتي في كتابه إحياء السنة: (وهذا زمان المحن والفتن، فلا سبيل إلى التعرّض للأمور الجمهورية بالقهر والتغليظ، فإن ذلك يؤدّي إلى التلف والهلاك).

خمسِيّات تؤطر فقه السلم

أيها الشباب، السلام مقصد أعلى تتحقق من خلاله بقية المقاصد. احفظوا أيها الشباب: بالسلام ترفع الدعائم الخمس، وتقام الخمس، وتحفظ الكليات الخمس، وتحقق القيم الخمس، وتطبق القواعد الخمس.

في ظل الأمن والسلام ترفع دعائم الإسلام الخمس من شهادتين، وصلاة وصيام وزكاة وحج. وفي ظلاله تقام الصلوات الخمس (فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة)، فبالسلم تلتئم الجماعات والجمع ويرفع أذان الإيمان والأمان، وبه تحفظ الكليات الخمس من دين ونفس وعقل وعرض ومال.

هذه الضروريات الخمس هي أسمى حقوق الإنسان التي منحها له الله عز وجل، لا ثبوت لها ولا ثبات إلا في إطار المجتمع الآمن الذي يتمتع بدرجة من السلم. ففي ظل السلام وما يوفره من الألفة والسكينة والأمل تعرف أسبابها وتتوفر شروطها وترتفع موانعها وبفقدته تسفك الدماء المعصومة وتنتهك الأعراض المحترمة.

وفي ظل السلام تحقق القيم الخمس الحاكمة للشريعة من خير ورحمة، وعدل وحكمة ومصلحة. والتي ذكر ابن القيم منها أربعة وزدت الخامسة التي هي قيمة الخير. وبالسلام تحقق القواعد الفقهية الخمس النازمة لكل الشريعة، فالأمور بمقاصدها، والضرر يزال، والعادة محكمة، والمشقة تجلب التيسير، واليقين لا يزول بالشك.

قد أسس الفقه على رفع الضرر * وأن ما يشق ما يجلب الوطر
ونفي رفع القطع بالشك وأن * يحكم العرف وزاد من فطن
كون الأمور تبع المقاصد * مع تكلف في بعض وارد
كما في المراقي، وإن كان أصل هذه القواعد ينسب إلى القاضي حسين المروزي (المروروي) الشافعي.

احفظوا عني هذه الخمسِيّات، واعلموا أن الحرمة لا ترتفع بالشك، والقتال دون مسوغات صحيحة مخالف للأوامر النبوية الصريحة كما في حجة الوداع:

﴿إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا﴾.

مقترحات وآفاق

وفي ختام هذه الرسائل العاجلة أؤكد على حاجتنا إلى مواصلة البحث عن خطاب جديد مقنع، وإلى مقارنة متجددة تفتح الآفاق وتقترح الحلول بعيداً عن خطاب اليأس والقنوط الذي نُهي عنه المؤمنون: (وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ).

وأختم هنا بمقترحات رمزية وعملية،

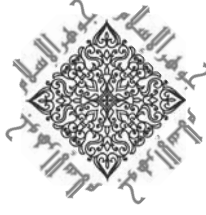
المقترح الأول استحداث لجنة للحوار والمصالحات والتنمية، تجمع بين الحكماء والوجهاء والعلماء في كل بلد، وتعنى بالوساطات والمصالحات لفض النزاعات ذات الأشكال والأنماط المختلفة، سواء كان مردها إلى ضغائن وإحن تاريخية أو عصبية عرقية وقبلية أو كان سببها الفكر المتطرف والإرهاب.

ومن وظائف هذه الهيئة المقترحة التكوين والتدريب على ثقافة الحوار وآلياته ومبادئه وإشكالاته، بحيث يتسنى للمرشدين والمربين وجميع الفاعلين القدرة على ممارسة الحوار في تفاصيل حياتهم اليومية وعلى كل المستويات في علاقتهم بمجتمعاتهم من خلال إبداع وسائل مبتكرة للتواصل والتفاعل.

المقترح الثاني يتمثل في قوافل السلام، التي يمكن أن تتكون من الأئمة والوجهاء من مختلف العرقيات والقبائل في المناطق التي تعاني من الحروب الأهلية والصراعات الدموية. لقد جربنا في منتدى أبو ظبي للسلام إطلاق قوافل السلام في بيئات أخرى، وأثبتت نجاعتها وقدرتها على العمل الميداني المؤثر في نشر قيم التسامح والأخوة، مما يجعلنا نقترح تطبيقها بشيء يسير من التطوير، إن من شأن مثل هذه القوافل أن تكون رسل مودة تخفف غلواء الاختلاف وتعزز أواصر المحبة والأخوة داخل المجتمعات. ولا شك أن هذا الجهد الفكري لا بد أن يرفده جهد تنموي يعمل على مساعدة المتضررين وتشغيل العاطلين وتعزيز دور الدولة وزيادة حضورها.

وختاماً أجدد شكري لفخامة الرئيس السيد محمد ولد الشيخ الغزواني رئيس الجمهورية الإسلامية الموريتانية على رعايته الكريمة لهذا المؤتمر وأدعو الله أن يحفظ أوطاننا ويصلح أعمالنا وأن يجعل اجتماعنا اجتماع خير وأن يكمله بالنجاح. جعلنا الله من ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، اللهم افتح مسامع قلوبنا لذكرك وطاعتك وارزقنا طاعتك وطاعة رسولك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



نَعْتُ الإِرْهَابِ بـ «الإِسْلَامِيَّ» إِرْهَابٌ وَعُدْوَانٌ

بقلم فضيلة الأستاذ الدكتور / أبو لبابة حسين

رئيس جامعة الزيتونة سابقا - عضو مجمع البحوث الإسلامية.

لئن لم تَتَّفَقْ أُمَّمُ الدُّنْيَا عَلَى وَضْعِ تَعْرِيفٍ مُوَحَّدٍ للإِرْهَابِ، لِحَاجَةِ مَشْبُوهَةٍ فِي نُفُوسِ بَعْضِ الْقَوَى الْعُظْمَى مَالِكَةَ «الْفِتْوَى» (حَقَّ النَقْضِ) فِيمَا يُدْعَى بِمَجْلِسِ الْأَمْنِ، وَالْمُتَحَكِّمَةِ فِي أَسْلِحَةِ الدَّمَارِ الشَّامِلِ، وَالْمُصَنَّعَةِ لَأَدَوَاتِ الْقَتْلِ وَالْإِبَادَةِ مِنْ قَنَابِلِ دَرِيَّةٍ وَعُنُقُودِيَّةٍ وَفَرَاغِيَّةٍ، وَصَوَارِيخَ بِالْيَسْتِيَّةِ وَغَازَاتٍ سَامَةٍ وَغَيْرَهَا.. حَتَّى يَبْقَى مَفْهُومُ الإِرْهَابِ هُلَامِيًّا تُلْصِقُهُ بِمَنْ تُرِيدُ مُعَاقِبَتَهُ وَالْإِضْرَارَ بِهِ حَتَّى وَإِنْ كَانَ ضَحِيَّةً لِلإِرْهَابِ وَالْعُدْوَانِ، وَتُبْرِّئُ مِنْهُ مَنْ تَشَاءُ حَتَّى وَإِنْ كَانَ غَارِقًا فِي الإِرْهَابِ إِلَى الْأَذْقَانِ، رَاعِيًا لِلْفَسَادِ وَالْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ. فَإِنَّ عُقْلَاءَ الْبَشَرِ وَحُكَمَاءَهُمْ مُجْمِعُونَ عَلَى عَدَمِ جَوَازِ إِيصَاقِ الإِرْهَابِ بِدَيْنٍ مُعَيَّنٍ أَوْ أُمَّةٍ بَعِيْنَهَا، فَالْإِرْهَابُ لَا هُوِيَّةَ لَهُ وَلَا جِنْسَ لَهُ.

وَالْإِسْلَامُ بِصَرِيحِ نُصُوصِ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ وَصَحِيحِ سُنَّةِ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ، يُدِينُ الإِرْهَابَ وَيَنْهَى عَنِ الظُّلْمِ وَيَمْنَعُ الْعُدْوَانَ وَيَنْبِذُ الْعَصْبِيَّةَ وَالْعُنْصَرِيَّةَ.. وَقَدْ حَرَّرَ مِنْذُ بَرْوُغِ فَجْرِهِ الْكَثِيرَ مِنْ شُعُوبِ الْأَرْضِ مِمَّا تَرَدَّتْ فِيهِ مِنْ ظُلْمٍ وَإِهَانَةٍ وَدُونِيَّةٍ وَعُبُودِيَّةٍ، فَنَقَلَهَا مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّ الْعِبَادِ، وَكَسَّرَ فُيُودَ الطَّبَقِيَّةِ الْمُجْحِفَةِ، وَبَذَلَ الْمِيزَ الْعُنْصَرِيَّ، وَحَقَّقَ لِلنَّاسِ آدِمِيَّتَهُمْ وَإِنْسَانِيَّتَهُمْ، بِمَا أَقَامَهُ مِنْ مُسَاوَاةٍ تَامَّةٍ غَيْرِ مَنْقُوصَةٍ، وَحُرِّيَّةٍ خَالِصَةٍ غَيْرِ مَغْشُوشَةٍ، وَعَدْلٍ غَيْرِ مَشُوبٍ بِحَيْفٍ، فَأَعْلَنَهَا الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ مِنْذُ خَمْسَةِ عَشَرَ قَرْنًا: «النَّاسُ سَوَاسِيَةٌ كَأَسْنَانِ الْمَشْطِ»، «وَكُلُّكُمْ لَأَدَمٌ وَآدَمٌ مِنْ تَرَابٍ»، «وَلَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لَأَبْيَضٍ عَلَى أَسْوَدٍ إِلَّا بِالتَّقْوَى».. وَجَعَلَ الْإِسْلَامُ

من الحرية حقاً مكتسباً لكل إنسان، لا يجوز سلبها منه تحت أية ذريعة أو تعلقة، حتى أن عمر الفاروق رضي الله عنه نعى على من حاول تجاهل هذه القيمة الإسلامية البارزة، بصرخته المدوية، التي جرت مجرى الأمثال: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً». كما دعا الإسلام معتنقيه إلى التزام العدل مع أوليائهم وأعدائهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ المائدة: 8.

والإسلام يعتبر الأمن والسلم والتسامح والتعاون من أسس دعوته وقواعد عقيدته، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات: 13، كما حرم سفك الدماء وانتهاك الأعراض ونهب الأموال أو إتلافها وترويع الآمنين وتخويفهم فحرم القتل والغدر والخيانة والسرقة والزنا والقذف وشرع الحدود المغلظة والعقوبات الرادعة لقطع الطرق، بل اعتبر إرهابهم وفضاعاتهم محاربة لله وللرسول وإفساداً في الأرض. وملايين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يذكرون كل يوم جمعة من على منبر رسول الله ﷺ بالموعظة الجامعة لألوان البر والخير والتقوى والهداية: «إن الله يأمر بالعدل والإحسان، وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون». إلا أن أعداء الحق ومثيري الفتن وقاهري الشعوب ومدمري الأوطان، يضربون عن هذه الأنوار الساطعة صفحاً ويحاولون قلب الحقائق فيسقطون على الإسلام العظيم شُرورهم وظلمهم وفسادهم فيلمزونه بالإرهاب.

ومن المفارقات العجيبة أن الصهاينة الذين اغتصبوا فلسطين وسرقوها الذين خلقوا الإرهاب وتفتنوا فيه، فقتلوا أهل فلسطين، وسفكوا دماءهم بالجملة، وشردوهم تحت سمع وبصر مجلس الأمن، ودنسوا مقدسات المسلمين، يحاولون بالخدعة والمغالطة إلصاق الإرهاب بضحاياهم من العرب والمسلمين، فتراهم يتسللون إلى مؤتمر «جوناثان» الذي انعقد بأبوجا عاصمة نيجيريا في نوفمبر 2012 ويسعون لحمل المؤتمرين على اعتماد عبارة «الإرهابيون الإسلاميون» مصطلحاً للتعبير عن الإرهاب السياسي.

أما أوربا وأمريكا وإن وقع الكثير من قادتهما ورجال الفكر فيهما صرعى المغالطات الصهيونية حديثاً، والأراجيف الاستشراقية قديماً، فانحازوا للظلم والجور في نظرهم للإسلام، حتى أن منهم من أوغل في الاجترار عليه والاستهانة بالمسلمين - نظراً لما

يُعَانِيهِ المسلمون في عصرهم الراهن من ضَعْفٍ وَتَفَكُّكٍ - فطال بهم بِاعْتِمَادِ التَّمَوُّجِ الغربيِّ في تقليم أظافر الدِّين وإخضاعه لأدوات النقد، واعتبر «إصلاح الدين الإسلامي من مُنْطَلَقِ التَّجَرِبَةِ المسيحيَّة في الغرب شَرْطاً ضَرْوَرِيّاً للتطبيع مع المسلمين في العالم المُعَاَصِر»، ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّ الْقُرْآنَ كَأَسْفَارِهِمُ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي عَمِلَتْ فِيهَا يَدُ التَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ عِبْرَ الْقُرُونِ حَتَّى أَضَحَتْ فَاقِدَةً لِقُدْسِيَّتِهَا بَلْ وَلِمَصْدَقِيَّتِهَا، فِي حِينِ عَاشَ الْقُرْآنُ مِنْ يَوْمِ نَزُولِهِ عَلَى قَلْبِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ حَتَّى الْيَوْمِ وَإِلَى أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، عَصِيّاً عَنِ التَّبْدِيلِ وَالتَّغْيِيرِ لِأَنَّ اللَّهَ ﷻ مُنَزَّلُهُ تَكْفَلُ بِحِفْظِهِ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الْحَجَرُ 9.

وَمِمَّا يَدْعُو إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْأَمَلِ أَنَّ بَعْضَ قَادَةِ الْغَرْبِ اخْتَكَمُوا فِي مُعَالَجَتِهِمْ قَضَايَا الْإِرْهَابِ إِلَى الْمَنْطِقِ وَالْإِنْصَافِ، فَهَذَا «دومينيك دي فيلبان» رَئِيسُ الْوُزَرَاءِ الْفَرَنْسِيِّ الْأَسْبَقِ يُعَلِّقُ عَلَى الْاِتِّهَامَاتِ الَّتِي كَالَهَا الْمُطَرِّفُونَ الْغَرْبِيُّونَ لِلإِسْلَامِ جِزَافاً إِثْرَ هُجُومِي كُوبِنَهَاغِنْ، وَشَارْلِي إِيْبْدُو بِيَارِيسْ، بِقَوْلِهِ: «وَيَنْبَغِي أَنْ لَا نَجْعَلَ الْإِسْلَامَ هُوَ الشَّمَاعَةُ الَّتِي نَعْلَقُ عَلَيْهَا كُلَّ الْأَخْطَاءِ، وَنُحْمَلُهُ مَسْئُولِيَّةَ هَذِهِ الْأَعْمَالِ الشَّنِيعَةِ ثُمَّ نُحَارِبُهُ تَحْتَ اسْمِ الْحَرْبِ عَلَى الْإِرْهَابِ». بَلْ فَهَذَا الْمَفْكَرُ الْأَمْرِيكِيُّ «غَرَاهَام فُولر» فِي مَقَالِهِ الْحَافِلِ: «الْعَالَمُ دُونَ إِسْلَامٍ.. لَوْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ إِسْلَامٌ، هَلْ كَانَ سَيَغِيبُ صَدَامُ الْحِضَارَاتِ؟» يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْأَسْبَابِ الْحَقِيقِيَّةِ لِاتِّشَارِ الْإِرْهَابِ وَالْعُنْفِ فِي الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ بِالْخُصُوصِ، وَالَّتِي يُمَكِّنُ تَلْخِيصُهَا فِي: 1 - السِّيَاسَاتِ الْاِسْتِعْمَارِيَّةِ الظَّالِمَةِ. 2 - وَالتَّدْخُلَاتِ الْخَارِجِيَّةِ الْفَجَّةِ وَالْمُهِينَةِ، وَالْهَيْمَنَةِ عَلَى أَوْطَانِ الْمُسْلِمِينَ بِزَرْعِ الْقَوَاعِدِ الْعَسْكَرِيَّةِ الْبَرِّيَّةِ وَالْجَوِّيَّةِ وَالْبَحْرِيَّةِ فِي طُولِ الْبِلَادِ وَعَرْضِهَا. 3 - وَدَعْمِ الدِّيْكَتَاتُورِيَّاتِ الْقَامِعَةِ لَشُعُوبِهَا وَالتَّمْدِيلَةِ لِلْغَرْبِ وَالتَّابِعَةِ لَهُ. 4 - وَالسَّعْيِ إِلَى اسْتِزَافِ ثَرَوَاتِ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ وَالْاِسْتِيلَاءِ عَلَيْهَا وَحَمْلِ قِيَادَتِهَا عَلَى إِبْرَامِ عَقُودِ صَفَقَاتِ السِّلَاحِ الْبَاهِظَةِ، وَالَّتِي لَا جَدْوَى مِنْهَا. 5 - وَتَقْسِيمِ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ لِإِضْعَافِهَا وَتَشْتِيتِ شُعُوبِهَا، وَفَرْضِ حُدُودِ «سَايَكْس بِيكُو» عَلَيْهَا. 6 - وَإِقَامَةِ الدَّوِيلَةِ الصَّهْيُونِيَّةِ الْمُسَمَّاةِ «إِسْرَائِيلَ» فِي قَلْبِ الْمَنْطِقَةِ وَرِعَايَتِهَا، وَالْاِسْتِيلَاءِ عَلَى مَقَدَّسَاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَطَرْدِ الشَّعْبِ الْفِلَسْطِينِيِّ مِنْ أَرْضِهِ وَالتَّضْيِيقِ عَلَيْهِ بِمَنْعِهِ حَتَّى مِنْ إِقَامَةِ الْأَذَانِ لِلصَّلَاةِ، وَتَشْرِيدِهِ وَمَلَا حَقَّتَهُ بِالتَّصْفِيَةِ وَالْإِرْهَابِ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَإِلَى يَوْمِنَا هَذَا. فَعَلَى مَلْحَظِ «غَرَاهَام فُولر» حَتَّى لَوْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ إِسْلَامٌ أَوْ دِينٌ إِسْلَامِيٌّ فِي مَنَاطِقِ الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ، فَسَيَكُونُ الصَّرَاحُ نَفْسَهُ هُوَ ذَاتَهُ وَالْعُنْفُ نَفْسَهُ قَائِماً.

فالإرهاب ليس مُرتبطاً بدينٍ مُعَيَّن وإنّما هو مُتَوَلَّدٌ عن أسباب موضوعيّة، الإسلام ليس المسؤول عنها، بقدر ما تتحمّل السياسات الدوليّة والأنظمة السياسيّة الاستعماريّة كامل المَسْؤُولِيَّة عن الحَالَةِ الرَّاهِنَةِ، فهم الذين صنعوا دويلة العدو الصهيوني، وهم الذين سلحوها بكل ألوان الأسلحة، وهم الذين زوّدها بالسلح النوويّ وحموها ووقفوا معها في كل اعتداءاتها الجائرة على الفلسطينيين فيما يُسمّى بمجلس الأمن فيستخدمون الفيتو كلما أدان العالم جرائمهم. فالتطاول على الإسلام ووصف الإرهاب بالإسلامي أمرٌ مُرفُوضٌ بِنَتَّةٍ ومُدَانٍ، لأنّه اعتداءٌ على الحقيقة واستهانةٌ بمشاعر مليار ونصف من المسلمين الذين لن يزيدهم تطرّف أعداء الحقيقة وعَنَجهيّتهم إلا تَمَسُّكًا بِعُرْوَةِ الإسلام الوثقّى، واعتزازاً بشريعته السمحة وتاريخه المُشرف وحضارته الآسرة. وإدانةٌ لأهل الباطل عُشاق الظلام أسيري شريعة الغاب.

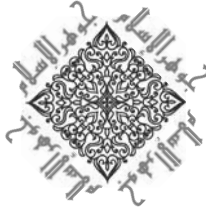
صدر أخيراً

كتاب الدرر التونسية من الأسانيد التونسية

اعتنى به الشيخ حامد بن علي بن محمد بن احمد بوراوي باشراف الشيخ محمد بن علي بن صالح مشفر - اصدار مدرسة عمر بن الخطاب لتعليم القرآن وترتيله بسكرة لمؤسسها فضيلة الشيخ حسن الورغي رحمه الله يقع هذا الكتاب في ما يقارب 300 صفحة متضمنا مادة علمية هامة موثقة تعرف بالاسانيد القرآنية التونسية وشيوخها وأعلامها بالعودة إلى وثائق هامة مخطوطة ومطبوعة كما يتضمن الكتاب إفادات هامة ومفيدة للقراء ومعلمي القرآن الكريم .

الكتاب النفحات المسكية في السيرة البكية

تأليف الشيخ العلامة محمد بن محمد عبد الله بن عبيد الرحمان العلوي الشنقيطي (ت 1954 م) دراسة وتحقيق محمد بمب درامي ابو مدين شعيب تباو الازهري الطوبوي صدر الكتاب في طوبى - السنغال 1441 هـ / 2019 م (الطبعة الثانية) والكتاب في سيرة ابي المحامد الشيخ احمد بن محمد بن حبيب اللهوهومن اكبر الشخصيات تاثيرا في التاريخ الاسلامي في افريقيا جنوب الصحراء. وتعد الطريقة المريدية التي أسسها في القرن التاسع عشر الميلادي من اهم الطرق الصوفية في هذه المنطقة. يقع الكتاب في 210 صفحة. تصميم وسحب دار الأمان الرباط - المغرب



مفهوم البدعة (بين المحددات الضابطة والأخلال المنهجية) (الجزء الأول)

بقلم الشيخ إبراهيم أحمد المقرري

إمام وخطيب بالجامع الوطني النيجيري أبوجا - نيجيريا

مفهوم البدعة بين اللغة والشرع

جاء في الصحاح: «بدع الشيء كمنعه بدعاً: أنشأه وبدأه كابتدعه ومنه البديع في أسمائه تعالى»⁽¹⁾ وفي لسان العرب «بدع الشيء يبدعه بدعاً وابتدعه: أنشأه وبدأه... والبديع والبديع الشيء الذي يكون أولاً... والبدعة الحدث وما ابتدع من الدين بعد إكمال... ابن الأثير: البدعة بدعتان، بدعة هدى وبدعة ضلال»⁽²⁾.

أما في الاصطلاح الشرعي فيُطلق في الغالب على المحدث المضاهي للدين وليس منه، ومن تعريفاتها الشرعية تعريف الحافظ ابن حجر رحمه الله: ما أحدث وليس له أصل في الشرع»⁽³⁾ وقال معلقاً وشارحاً لحديث «كل بدعة ضلالة» إنه ما أحدث ولا دليل له من الشرع بطريق خاص أو عام»⁽⁴⁾.

وقد اتجه العلماء في تعريف البدعة اتجاهين مشهورين: الاتجاه اللغوي الذي روي عن الإمام الشافعي رضي الله عنه واشتهر به عدد كبير من الأئمة بعده كالعز بن

(1) تاج اللغة وصحاح العربية لابن عطار: مادة بدع.

(2) لسان العرب لابن منظور: مادع به دع.

(3) فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني: 13/267.

(4) المرجع والصفحة.

عبد السلام والقرافي والنووي وغيرهم، ثم الاتجاه الثاني الذي أطلق عليه الاتجاه الشرعي واشتهر به الإمام ابن تيمية وابن رجب الحنبلي والشاطبي وآخرون.

وسوف يتعرض المقال لأصحاب كل اتجاه كمدرسة واحدة رغم علم الباحث بالفروق والتداخلات الكثيرة في أطاريح العلماء، ولكن لا مندوحة له سوى ذلك في التعامل مع الضوابط والأخلال المنهجية

فمن جملة التعريفات التي تبنت الاتجاه الأول تعريف الإمام النووي الذي قال في تهذيب الأسماء واللغات «والبدعة بكسر الباء هي إحداث ما لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي منقسمة إلى حسنة وقيحة»⁽¹⁾

ولعله استفاد هذا التعريف من تعريف الإمام العز بن عبد السلام الذي قسم البدعة حسب الأحكام الشرعية فعرّف البدعة بأنها «فعل ما لم يُعهد في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي منقسمة إلى بدعة واجبة وبدعة محرمة وبدعة مندوبة وبدعة مكروهة وبدعة مباحة والطريق إلى معرفة ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة»⁽²⁾ وينظر تلميذه الإمام القرافي إلى هذا التعريف ليقول في الفروق «فالبدعة إذا عُرِضت تعرض على قواعد الشريعة وأدلتها بأي شيء تناول من الأدلة والقواعد ألحقت به من إيجاب أو تحريم أو غيرها، وإن نظر إليها من حيث الجملة بالنظر إلى كونها بدعة، مع قطع النظر عما يتقاضاها، كرهت، فإن الخير كله في الاتباع والشر كله في الابتداع»⁽³⁾

هذا، وقد صرح أبو الفضل عبدالله بن الصديق الغماري باتفاق العلماء في تقسيم البدعة حيث قال «إن العلماء متفقون في انقسام البدعة إلى محمودة ومذمومة، وإن عمر رضي الله عنه أول من نطق بذلك، ومتفقون على أن قول النبي صلى الله عليه وسلم (كل بدعة ضلالة) عام مخصوص»⁽⁴⁾.

إلا أن ثلة من العلماء رفضوا تقسيم البدعة، فالبدعة عندهم مهما أطلقت فهي المذمومة وعرفوها تعريفات قامت على هذا الأصل عندهم، فالبدعة عند الإمام الشاطبي «طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة

(1) تهذيب الأسماء واللغات: 3/22 مادة ب د ع.

(2) قواعد الأحكام: 2/173.

(3) الفروق:

(4) إتيان الصنعة.

في التعبد لله عز وجل»⁽¹⁾ ويرى الإمام ابن تيمية قبل ذلك «أن كل من تعبد بشيء لم يشرعه الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم فقد جاء ببدعة ضلالة»⁽²⁾.

ولكن الاختلاف بين الاتجاهين في الحقيقة لفظي، ما دام كل من تحدثوا عن البدعة وقسموها إلى محمود ومذموم إنما يتحدثون عن البدعة بالمعنى اللغوي، ذكر هذا الحافظ ابن حجر حيث قال «والمحدثات بفتح الدال جمع محدثة والمراد بها ما أحدث وليس له أصل في الشرع، ويسمى في عرف الشرع بدعة، وما كان له أصل يدل عليه في الشرع فليس ببدعة، فالبدعة في عرف الشرع مذمومة بخلاف اللغة، فإن كل شيء أحدث على غير مثال يسمى بدعة سواء كان محموداً أو مذموماً»⁽³⁾.

ومثل هذا الكلام أثر عن كل أصحاب الاتجاه الأول، روي عن الإمام الشافعي رضي الله عنه قوله «كل ما له مستند من الشرع فليس ببدعة ولو لم يعمل به السلف، لأن تركهم للعمل به قد يكون لعذر قام لهم في الوقت أو لما هو أفضل منه أو لعله لم يبلغ جميعهم علم به»⁽⁴⁾ وقال الحافظ ابن حجر الهيثمي: «والبدعة الشرعية ضلالة كما قال صلى الله عليه وآله وسلم، ومن قسمها من العلماء إلى حسن وغير حسن فإنما قسم البدعة اللغوية»⁽⁵⁾.

ثم إن من العلماء من لا يرون بأساً بتسمية المحدث الم محمود بدعة حسنة من حيث الاصطلاح الشرعي، فهي عندهم مرادفة للسنة الحسنة في حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه المعروف، ولهم في أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه نعم السلف، ولا ممساحة في الاصطلاح، فالبدعة الحسنة عندهم هي السنة الحسنة عند من لا يجيزون هذا الإطلاق.

وهكذا تكون الاتجاهات ثلاثة ويبقى الخلاف بينها لفظياً، قال الشيخ محمد عبد الله دراز «إذا عرفت تبين لك أن اختلاف الفريقين في ذم البدعة إطلاقاً وتفصيلاً ليس اختلافاً حقيقياً في موضوع واحد، وإنما هو اختلاف اسمي تابع لاختلاف موضوع الحكم، فالمعنى الذي يحكم عليه الفريق الأول بالذم مطلقاً لا يفصل فيه الفريق الثاني

(1) الاعتصام: 1 / 36.

(2) مجموع الفتاوى: 4 / 108.

(3) فتح الباري: 13 / 268.

(4) إتقان الصنعة: وورد كلام قريب منه في مناقب الشافعي للبيهقي: 1 / 468.

(5) الفتاوى الحديثية: 200.

إذ لم يقل أحد منهم بتحسين شيء لم يرد بحسنه دليل أو شاهد شرعي»⁽¹⁾.

هكذا نخرج من هذا المطلب بنتيجة مهمة تعيننا فيما يأتي من المطالب، وهي أن البدعة بالمفهوم اللغوي تنقسم إلى ما يحمد وما يذم، وأن بعض العلماء توسعوا فأطلقوا الشرعية على البدعة اللغوية، وأن البدعة الشرعية مذمومة كلها لمخالفتها للأصول، ولا يطلق على المحدث الموافق للأصول بدعة إلا لتغليب الحقيقة اللغوية، ويبقى الخلاف بعد ذلك في المحددات الضابطة وآليات التنزيل والنماذج التي يصدق عليها اسم البدعة، أي في بدعية الأمور المعينة.

ضابط السنة الحسنة

لقد روى الإمام مسلم بسنده عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»⁽²⁾. وكان من سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يستحسن الكثير مما يأتي به الصحابة رضوان الله عنهم سواء منها ما يدخل في إطار العبادات أو العادات، وإن كان هذا يندرج تحت السنة تقريراً، لكنه يستفاد منه أن الصحابة رضوان الله عنهم ما كانوا يبتدعوا هذه الأعمال إلا لأنهم فهموا من الهدي النبوي ما يسع لذلك، فابتدعوا عبادات راجين بها الأجر من الله تعالى واستحسن صلى الله عليه وآله وسلم بعضها مثل طهارة بلال وصلاته ركعتين مع كل حدث، ومثل اقتصار أحدهم على سورة الإخلاص بعد الفاتحة مع كل ركعة ومثل ما سنَّ خبيب بن عدي من صلاة ركعتين قبل القتل ومثل زيادة ثناء على الله أثناء الصلاة ومثل افتراق الرجلين من الصحابة على قراءة سورة العصر.

فهذا التصرف من الصحابة رضوان الله تعالى عنهم يدل المتأمل على أنهم «لم يكونوا يعتقدون أن كل ما تركه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حرام، بل لكل محدثة حكمها الذي ينسجم مع مقاصد الشريعة ونصوصها العامة وقواعدها الكلية، ولم يكونوا أيضاً يقبلون كل محدثة في الدين، بل كانوا ينكرون من المحدثات ما

(1) الميزان بين السنة والبدعة:

(2) مسلم:

كانوا يعتقدون أنه من البدع السيئة التي تتصادم مع أصول الدين ونصوصه»⁽¹⁾.
وقد استحدثت أمور كثيرة في زمن الصحابة رضوان الله عنهم مثل الجمع على إمام واحد في التراويح ومثل زيادة أذان يوم الجمعة ومثل قنوت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بالدعاء الموقوف عليه، وسار على الهدي نفسه التابعون لهم بإحسان، فكان تحزيب القرآن الكريم ونقطه وشكله وضبط إعرابه، وزاد أهل المدينة في التراويح أربع ركعات مكان كل ترويحة بالطواف عند أهل مكة، فصلوا تسعا وثلاثين ركعة، وكل واحد من هذه الأمور وغيرها العشرات إنما حظي بالقبول لأن مجتهدا ممن كملت فيهم آليات الاجتهاد اجتهد فرأى أنه لا يخالف الأصول والقواعد الشرعية.

ويحسن أن نورد هنا تحقيق الإمام ابن تيمية في مسألة ركعات التراويح، قال رحمه الله «والأفضل يختلف باختلاف أحوال المصلين. فإن كان فيهم احتمال لطول القيام بعشر ركعات وثلاث بعدها كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي لنفسه فهو الأفضل، وإن كانوا لا يتحملونه فالقيام بعشرين أفضل... وإن كان بأربعين وغيرها جاز ذلك... ولا يكره شيء من ذلك... ومن ظن أن قيام رمضان فيه عدد مؤقت عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يزداد فيه ولا ينقص فقد أخطأ»⁽²⁾.

لكن الواحد يختار أمام الخلل المنهجية الكبير لو وضع هذا الكلام من الإمام على الضابط الذي وضعه بنفسه لتمييز البدعة عن السنة حيث قال «فأما ما تركه من جنس العبادات مع أنه لو كان مشروعا لفعله أو أذن فيه ولفعله الخلفاء الراشدون بعده والصحابة فيجب القطع بأن فعله بدعة وضلالة ويمتنع القياس عليه»⁽³⁾.

ولعل قائلًا يقول بأن كلام الإمام في عدد الركعات متعلق بفروع العبادة والبدع الإضافية فيما له أصل جملي، إذ أصل الصلاة مسنونة والحكمة من قيام الليل معروفة، فلا شائبة في ذلك، ولكن هذا الكلام يصدق على ما لا يحصى من العبادات التي يسمها أصحاب هذا الاتجاه بالابتداع.

وعودا على بدء في مسألة السنة الحسنة، ففي الحقيقة إن ضابط السنة الحسنة راجع إلى أن كل ما استحدث وله أصل في الشرع يعود إليه فهو من السنة الحسنة، ولا تنحصر فحسب على إحياء سنة قديمة، والشاهد على ذلك عمل الصحابة رضوان الله

(1) مفهوم البدعة وأثره في اضطراب الفتاوى المعاصرة: 139.

(2) مجموع الفتاوى: 401/2.

(3) اقتضاء الصراط المستقيم: 426.

تعالى عنهم، قال عبد الله بن الصديق «فما أحدث وله أصل في الشرع يشهد له يسمى سنة حسنة ومقابله يسمى سنة سيئة»⁽¹⁾ وهذا مما يمكن إقامة دعوى الإجماع عليه، إذ لا تجد أحداً ممن تعرض لمسألة البدعة إلا ذكره أو ذكر ما يمكن رده إليه، يقول الشاطبي في رده على القرافي في تقسيم البدعة «هذا التقسيم أمرٌ مخترع لا يدل عليه دليل شرعي بل هو في نفسه متدافع لأن حقيقة البدعة أن لا يدل عليها دليل شرعي لا من نصوص الشرع ولا من قواعده»⁽²⁾ ويقول الحافظ ابن رجب الحنبلي «المراد بالبدعة ما أحدث مما لا أصل له من الشريعة يدل عليه وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعاً»⁽³⁾ وهذا ما يقوله الإمام ابن تيمية نفسه حيث قال في مجموع الفتاوى «إن البدعة الحسنة عند من يقسم البدعة إلى حسنة وسيئة لا بد أن يستحبها أحد من أهل العلم الذين يقتدى بهم ويقوم دليل شرعي على استحبابها».⁽⁴⁾

فعلى هذا يقبل كل ما يستند إلى نص بمنطوقة (في مثل مفهوم الموافقة الأولوي) أو بمفهومه أو معقوله أو كان مستنده الاستصلاح الذي أكثر الصحابة رضوان الله عنهم الرجوع إليه أو كان إجماعاً أو استحساناً عند من يعتمدونه أو غير هذه من المصادر التشريعية أو الأدلة الكلية والقواعد العامة.

ضابط التروك النبوية

المقصود بالترك هنا «أن يترك النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً أو يتركه السلف الصالح من غير أن يأتي حديث أو أثر بالنهي عن ذلك الشيء المتروك يقتضي تحريمه أو كراهته»⁽⁵⁾.

فإذا ترك النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمراً فلا بد أن يكون أحد أمرين: الترك المنقول أو متروك النقل، والترك المنقول إما مسبب أو مطلق، والأسباب كثيرة أكثرها لا يقتضي منعاً أو إيجاباً، أما متروك النقل فإما مقدور أو غيره والمقدور إما ما لا تتوافر دواعي نقله وإما ما وجد مقتضاه وانتفى مانعه، وهذا الأخير وحده ما يكون حجة في الشرع، أي عند وجود المقتضي وزوال المانع، وهو بدوره قد يكون في جانب العبادات فيغلب الحظر أو العادات فتغلب الاباحة.

(1) اتقان الصنعة : 12 .

(2) الاعتصام : 1/ 191 .

(3) جامع العلوم والحكم : 398 .

(4) مجموع الفتاوى : 27 / 152 .

(5) حسن التفهم والدرك لمسألة الترك :

فمطلق الترك، والقول لابن لب الغرناطي، « ليس بموجب للحكم في المتروك إلا جواز الترك وانتفاء الحرج فيه، أما تحريم أو كراهة، ولا سيما فيما له أصل جملي كالدعاء فإن صح أن السلف لم يعملوا به، فقد عمل السلف بما لم يعمل به من قبلهم من هو خير كجمع المصحف ثم نقطه وشكله ثم نقط الآي ثم الخواتم والفواتح وتحزيب القرآن والقراءة في المصحف في المسجد وتسميع المؤذن تكبير الإمام وتحضير المسجد عوض التحصيب وتعليق الثريات ونقش الدنانير والدراهم بكتاب الله وأسمائه، وقال عمر بن العزيز تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور وتحدث لهم ترغيبات بقدر ما أحدثوا من الفتور»⁽¹⁾.

فترك النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأمر ما قصداً يفيدنا أمراً واحداً مؤكداً وهو أن ذلك الأمر غير واجب... ثم قد تحتف بالترك قرائن تفيد استحباب الأمر المتروك أو كراهته أو حرمة، أما الترك غير المقصود فهو أبعد من أن يفيد التحريم بل الصواب أنه لا يتعلق به حكم شرعي⁽²⁾.

يقول العلامة عبد الله بن الصديق «الترك وحده إذا لم يصحبه نص على أن المتروك محظور لا يكون حجة في ذلك، بل غايته أن يفيد أن ترك ذلك الفعل مشروع وأما أن ذلك الفعل المتروك يكون محظوراً فهذا لا يستفاد من الترك وحده وإنما يستفاد من دليل يدل عليه»⁽³⁾.

ولكن مطلق الترك صار أشهر حجة يعتمد عليها من يتعرضون على بعض الأمور المستحدثة، فهي محرمة لأن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام لم يفعلوا، أو لأن السلف لم يفعلوا، ولو كان خيراً لسبقونا إليه وقد مضى الجواب على ذلك.

ومن جيد كلام الإمام ابن تيمية في الرد على هذا الخلل المنهجي الذي اتهم هو نفسه بالوقوع فيه كثيراً رده على من منع دخول الحمام بدعوى بدعيته، قال «وليس لأحد أن يحتج على كراهة دخولها أو عدم اسحابه بكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يدخلها ولا أبوبكر ولا عمر فإن هذا إنما يكون حجة لو امتنعوا من دخول الحمامات»⁽⁴⁾.

(1) المعيار المعرب 6 / 370 وانظره في مشاهد من المقاصد : 188 .

(2) مفهوم البدعة : 116 .

(3) حسب التفهم والدرك لمسألة الترك : 11 .

(4) مجموع الفتاوى 21 / 313 .

ولكن الإمام الشاطبي يرى غير ما يرى الإمام ابن تيمية، حيث شدد الغارة على نخل الدقيق لأنه بدعة⁽¹⁾، وكل بدعة ضلالة، وذلك في إيراد رواية أبي نعيم عن محمد بن أسلم في دخول البدعة في المنخل وأعجبه صنيع هذا الإمام وقول من قال «أول ما أحدث الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنخل»⁽²⁾. ثم أعقب كلامه بتفصيل عن كيفية دخول شائبة التعبد في العادي حيث قال: «ثبت في الأصول الشرعية أنه لا بد في كل عادي من شائبة التعبد، لأن ما لم يعقل معناه على التفصيل من المأمور به والمنهي عنه فهو المراد بالتعبد، وما عقل معناه وعرفت مصلحته أو مفسدته فهو المراد بالعادي... والبيع والنكاح والشراء والطلاق والإجازات والجنايات كلها عادي لأن أحكامها معقولة المعنى ولا بد فيها من التعبد»⁽³⁾.

وإن كثيرا من أصحاب هذا لاتجاه يطلقون الترك ويعتمدونه دليلا وحجة في منع المستحدثات،

فالإمام ابن القيم مثلاً أورد نماذج من التروك التي في فعلها مخالفة للسنة ووقوع في البدعة مثل ترك التلفظ بالنية وترك الدعاء بعد الصلاة على هيئة الاجتماع وترك صلاة الجمعة في الخلاء وترك صلاة العيد في المسجد والصلاة عقب السعي بين الصفا والمروة وغيرها.

ولكن معترضا قد يعترض على كلام الإمام بأن بعض المذكورات من السنن التركية لا مطلق التروك، ومنها ما يمكن إدراجه تحت تروك الوسائل وكذلك ما هو من متروك النقل، والمعلوم أن عدم العلم ليس علماً بالعدم فيما لا تتوافر الهمم على نقله

ولنأخذ مسألة الدعاء على هيئة الاجتماع للمثال على الخلل المنهجي لدى أصحاب هذا الاتجاه، فالدعاء الجماعي عقب الصلوات من البدع، أقل الإمام الشاطبي في الاعتصام بمبحث الرد على حجج شيخه ابن لب الغرناطي القائل بجوازه، وملخص كلامه أن الدعاء بدعة فلو جازت لكان إظهارها في زمان النبي أولى، وأن قصد الاجتماع على الدعاء لا يكون بعد زمانه أبلغ في البركة من اجتماع يكون فيه سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، وأنه لو كان من باب البر والتقوى

(1) الاعتصام 327

(2) نفسه 333

(3) المرجع 333 وما بعده

لكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أول سابق إليه⁽¹⁾
هكذا استند الإمام الشاطبي إلى ضابط الترك ليبدع شيخه الذي ينتصر للدعاء
الجماعي خارج الصلاة.

وقبل سوق المثال على الخلل المنهجي نورد للشيخ عبد العزيز بن باز فتواه عن
توقيفية العبادة قال: «العبادة توقيفية فلا يشرع فيها إلا ما جاء به الشرع كالصلوات
الخمس والزكاة وصوم رمضان والحج وغير ذلك مما شرع الله من نوافل الصلاة
والصدقة والصوم والحج والجهاد وغير ذلك مما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم»⁽²⁾

ثم قارن كل هذا مع فتوى الشيخ رحمه الله عن دعاء الختم داخل الصلاة، جاء
فيها: «لم يزل السلف يختتمون القرآن ويقرءون دعاء الختمة في صلاة رمضان ولا
نعلم في هذا نزاعاً بينهم... وهذا معروف عن السلف تلقاه الخلف عن السلف...
وهكذا كان مشايخنا مع تحرّيمهم للسنة وعنايتهم بها يفعلون ذلك، تلقاه آخروهم عن
أولهم... فالحاصل أن هذا لا بأس به إن شاء الله ولا حرج فيه بل هو مستحب»⁽³⁾

فأطلق رحمه الله الاستحباب على استحداث دعاء للختمة داخل الصلاة نفسها،
بالرغم من أنه لا يملك نعت العبادات بالأحكام سوى الشارع، يقول الامام ابن تيمية
«فلهذا كان دين المؤمنين بالله ورسوله أن الأحكام الخمسة: الإيجاب والاستحباب
والتحليل والكرهية والتحرّيم لا يؤخذ إلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم»⁽⁴⁾

مسألة السنة التركية

سبق القول بأن العلماء قسموا تروكه صلى الله عليه وسلم إلى الترك العدمي وهو
الذي لم يوجد ما يقتضيه في عهده صلى الله عليه وآله وسلم ثم حدث له مقتض بعده
صلى الله عليه وسلم فهذا جائز على الأصل، مع تفصيل يرد فيما بعد عند التعرض
لأصول الأشياء، ثم الترك الوجودي وهو ما تركه النبي صلى الله عليه وآله وسلم
مع وجود المقتضي لفعله صلى الله عليه وسلم في عهده، وهذا الترك يقتضي منع

(1) انظر: الاعتصام 269 - 270

(2) فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبد العزيز بن باز 30 : 20

(3) نفسه 11 | 354

(4) مجموع الفتاوى 22 / 226

المتروك⁽¹⁾»

ومن الجدير بالذكر أن العلماء اختلفوا في الترك الوجودي أو الكف هل هو فعل، والصحيح أن الكف فعل، وهذا اختيار كثير ممن تعرض للمسألة من علماء الأصول، واستشهدوا على ذلك بجملة أدلة منها قوله تعالى «لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ماكانوا يصنعون» فسمى الحق تعالى ترك الربانيين والأحبار نهيههم صنعا، وكذلك قوله تعالى «كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون» فسمى تركهم عن التناهي فعلا⁽²⁾.

هذا، فإذا نأكد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ترك الأمر قاصداً للترك مشرعاً له فهذا ما يصطلح عليه السنّة التركية، عرفها بعضهم بأنها أن يسكت⁽³⁾ النبي صلى الله عليه وسلم عن الفعل غير الجبلي مع قيام مقتضي وعدم المانع وألا يكون المتروك حقاً للغير⁽⁴⁾.

ولا خلاف بين العلماء في التأسّي به صلى الله عليه وآله وسلم في السنن التركية فيما يفيد الحكم وجوباً أو استحباباً أو إباحتها، وإن كانوا قد يعزونها إلى كراهة مثل إجماعهم في ترك البول قاعداً بسبابة قوم.

ولكن هذا الأصل قد تعثره أخلال منهجية ما دام الأمر المستحدث قد يكون في العادة التي الأصل فيها الإباحة، وإذا كان في العبادة أيضاً فقد يكون في عبادات الوسائل لا المقاصد مثل الأذان الذي استحدثه أمير المؤمنين عثمان وكثير غير، ثم في عبادات المقاصد نفسها قد يكون في المعلل الذي يكون منشؤه القياس وجاز على قول الجمهور كما سنرى، وقد تكون العبادة فرعية لا مبتدأة فيجوز البناء، وهكذا تتسع دائرة الخلاف وتمتد.

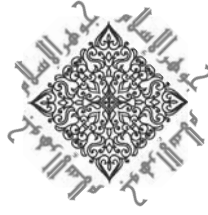
(البقية في العدد القادم)

(1) حسب التفهم والدرك لمسألة الترك : 23.

(2) نشر البنود.

(3) الأخرى أن يكف. وقد قام العلامة عبد الله بن الصديق بالتفريق بين الترك الوجودي وبين السكوت في مقام البيان بما لم يسبق إليه كما قال رحمه الله

(4) السنة التركية: 67.



دَاءُ الْعَصْرِ الْحَدِيثِ وَالْوَقَايَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الْعِلَاجِ

بقلم الشيخ صالح العَوْد - باريس

كُنْتُ أَعْدَدْتُ فيما مضى «دِرَاسَةً» غَيْرَ مَسْبُوقَةٍ لِبَعْضِ الدَّوَائِرِ الصَّحِيَّةِ، عَنْ عَنَايَةِ الْإِسْلَامِ الْفَائِقَةِ بِالصَّحَّةِ الْبَشَرِيَّةِ عَامَّةً، وَرِعَايَتِهِ الْخَاصَّةِ لِبَعْضِ الْأَفْرَادِ الزَّمْنِيِّ، وَأَنْوَاعِ فَرِيدَةٍ مِنَ الْأَوْبَةِ الْقَاتِلَةِ.

فَإِنَّ سَيِّدَ الْخَلْقِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ الرَّحْمَةُ الْمَهْدَاةُ - قَدْ نَادَى مِنْذُ فَجَرِ الْإِسْلَامِ، قَائِلًا: «يَا عِبَادَ اللَّهِ! تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً»؛ وَفِي لَفْظٍ آخَرَ: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُنْزِلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً، عَلِمَهُ مِنْ عِلْمِهِ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ».

وَعَمَلِيًّا فَقَدْ كَانَ رَسُولُ الرَّحْمَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرْشِدُ الْمَرْضَى فِي عَهْدِهِ، أَنْ يَكُونُوا عَلَى اتِّصَالٍ مَعَ أَطْبَاءِ زَمَانِهِ، وَهُمْ قَلَّةٌ قَلِيلَةٌ، أَمْثَالُ:

✓ الْحَارِثُ بْنُ كَلْدَةَ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَكَانَ طَبِيبًا نَصْرَانِيًّا.

✓ الشَّمْرَدَلُ بْنُ قُبَابٍ مِنْ نَجْرَانَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فِي وَفْدٍ مَعَهُ لِيُسَلِّمُوا، وَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ: «لَا تَدَاوِي أَحَدًا حَتَّى تَعْرِفَ دَاءَهُ»، فَقَالَ الشَّمْرَدَلُ فِي أَدَبٍ وَتَوَاضَعٍ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَأَنْتَ أَعْلَمُ بِالطَّبِّ مِنِّي.

حَتَّى إِذَا مَا تَرَعَرَ الْإِسْلَامُ وَقَامَ عَلَى سَوْقِهِ، وَامْتَدَّتْ حَضَارَتُهُ فِي الْأَفَاقِ - شَرْقًا وَغَرْبًا - ظَهَرَ أَطْبَاءُ مُسْلِمُونَ أَكْفَاءٌ، وَعَلَى دَرَايَةِ هَامَّةٍ بِالْأَمْرَاضِ، وَالْفَحْوصَاتِ، وَاسْتَعْمَالَ الْأَدْوِيَةِ، وَصِنَاعَةِ الْعَقَاقِيرِ، بَلْ حَتَّى إِنَّهُمْ وَضَعُوا كِتَابًا هَادِيَةً إِلَى الشِّفَاءِ،

وغيرها تدل على الوقاية من العدوى، أو الانتشار الساق: كالتطاعون في الزمن السابق، أو كورونا في العصر اللاحق.

ومن أجل آثارهم الباقية منذ تلك القرون الخالية، وهي تذكر بما لهم من أيادٍ بيضاء في هذا الشأن، أشيرُ

- على سبيل الذكر لا الحصر - إلى ثلاثة فقط، وهي:

✓ كتاب: فردوس الحكمة / علي بن سهل بن ربن الطبري (169-247هـ = 785-861م).

✓ كتاب: الحاوي في الطب / أبو بكر الرازي (251-313هـ = 865-925م).

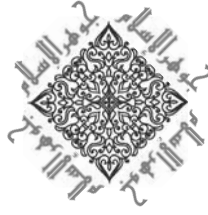
✓ كتاب: التصريف لمن عجز عن التأليف / (939هـ = 1013م).

ويقول الدكتور محمد فؤاد الذاكري بهذا الخصوص: «كتب العرب في ميدان العلوم الطبية، صفحات رائعة من تاريخ معالجة البشرية، ولا تزال أسماء الأطباء من أمثال: ابن سينا والرازي والكندي وغيرهم، مسجلة في صفحات التاريخ، باعتبارهم ممن أسهموا في ميادين التقدم العلمي والاجتماعي... وما لهم من أثر في الحضارة الإنسانية».

وإني مُعجَبٌ اليوم، أن العشرات - بل المئات - من أطبائنا الميامين في بلاد الغرب، يقبعون في مخابريهم، ساهرين بجديّة من أجل متابعة وتقصي الأمراض الفتاكة، ومنها هذا المرض المستجد في عصرنا، بعد أن مرّ عليه أكثر من سنتين، ولمّا يجدوا له حلّاً قطعياً، ولا شفاء نهائياً، بل لا يزال يتحوّر، ويطالعا من حين لآخر بأنواع لا قبل للأطباء بها، وهم ما شاء الله حتى اللحظة، يتصدّرون المشهد الوبائي في مشافي عديدة، ومصحات ومختبرات متوفرة في كل مدينة فرنسية، بحثاً عن لقاح أو مصل، يوقفون به نهائياً انتشار وعدوى هذا المتحوّر سواء القديم أو الحديث، دون أن يعلم بهم أحد، إلا من اكتشفهم كوسائل الإعلام الطموحة في التقصي، أو التواصل الاجتماعي؛ وأنا شخصياً أطلق عليهم بكل افتخار: «جنود الرحمة والإغاثة»، لأنهم يصارعون مقاومة هذا الوباء الشرس، الذي يسكننا ولا يفارقنا في جميع مرافق حياتنا مهما تنوّعت أو قربت وبعدت..

لكنها بلا شك: عظمة الله، لمن يتجاهلها أو لا يعرفها كبراً أو نكراناً؛ وصدق ربّ العزة الذي تحدّى هؤلاء منذ الأزل، فقال تعليماً وتفهيماً: «يا معشر الجنّ والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذوا إلا بسلطان».

وهذا (السلطان) هو العلم وليس الإنسان.



لقد بلغ محمد ﷺ في المعارج المتعالية شأواً بعيداً

بقلم فضيلة الدكتور أحمد الطيب (شيخ الأزهر)^(١)

إنَّ احتفالنا بمولد خاتم الأنبياء والمرسلين ليس احتفالاً بعظيم من العظماء، ممَّن يتوقَّف التاريخ عند أدوارهم قليلاً أو كثيراً، ثم ما يلبث أن يروح ويتركهم.

بل هو احتفالٌ من نوع آخر مختلف، إنَّه احتفالٌ بالنبوة والوحي الإلهي وسفارة السماء إلى الأرض، والكمال الإنساني في أرفع درجاته وأعلى منازلها، والعظمة في أرقى مظاهرها وتجلياتها.. إنه احتفالٌ بالتشبه بأخلاق الله تعالى قَدَرَ ما تُطيقه الطبيعة البشرية، وقد تمثل كل ذلك في طبائع الأنبياء والمرسلين، الذين عصَمهم الله من الانحراف، وحرس سلوكهم من ضلالات النفس وغوايات الشياطين، وفطر ظاهرهم وباطنهم على الحق والخير والرحمة، وقد بلغ محمد -ﷺ- في هذه المعارج المتعالية شأواً بعيداً، حتى أُطلق عليه: «الإنسان الكامل» من فرط ما استوعبه استعدادُه الشريف من سموٍّ في الفضائل، وُسموٍّ في الخلق والأدب الرفيع.

يؤكدُ ذلك ما زخرت به مُصنَّفات الأخلاق والشمال المحمدية من أوصافٍ لا يمكن أن تجتمع لإنسانٍ إلَّا إذا كان من هؤلاء الذين هيأهم الله لهذه الأوصاف، وأعدَّهم للتجلي بحُلَّها.

(١) كلمة فضيلة الشيخ الدكتور أحمد الطيب في الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف - ربيع الأول 1443 هـ / 2022 م.

من هذه الأوصاف الشريفة التي يَسْرُدُها عنه بعض أصحابه أنه -صلوات الله وسلامه عليه!- لم يكن غليظ الطبع، ولا فاحشاً في قوله وعمله، ولا مُتَفَحِّشاً، ولا صَخَّاباً يرفع صوته في الطُّرقات والأسواق، ولم يكن يَجْزِي السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح.. ما ضرب بيده شيئاً قط، إلا أن يُجَاهِد في سبيل الله، ولا ضَرَبَ خادماً ولا امرأة، وما رُؤِيَ مُنْتَقِماً من مظلمة ظَلَمَهَا قط، ما لم تُنْتَهَك محارمُ الله تعالى، فإذا انتهكت كان من أشد الناس غَضَباً، وكان يُسَرُّ المظلومين الذين لا يستطيعون دفع الظلم عن أنفسهم، ويؤكد لهم: «ما ظَلِمَ عبدٌ مظلمةً صَبَرَ عليها إلا زاده الله عزاً»، وما خَيْرُ هذا النبي الكريم بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثماً، وإذا دخل بيته كان بشراً من البشر.. كان يُعْظَمُ النعمة وإن قَلَّتْ لا يذمُّ منها شيئاً، ويحلب شاته، ويخدم نفسه، وكان يمسك لسانه إلا فيما يعنيه، وكان يُكرم كريم كل قوم، ويؤليه عليهم، يُحَذِّرُ الناس، ويحترس منهم، ويلقاهم من غير أن يطوي على أحدٍ منهم طلاقة وجهه وبشاشته.

وكان يتفقد أصحابه، ويسأل الناس، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس.. ومن سألَه حاجةً لم يَرُدَّه إلا بها، أو بميسور من قولٍ بمعروف، مجلسه مجلسٌ عِلْمٍ وحياءٍ وصبرٍ وأمانة، يُوقَّرُ فيه الكبير، ويُرحم الصغير، ويُقدَّم ذو الحاجة، ويُحفظ حق الغريب.. وقد كساه الله لباسَ الجمال، وألقى عليه محبةً ومهابةً منه. ترك نفسه من ثلاث: الجدل، والتعالي في معاشرته الناس، وما لا يعنيه..

وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحداً ولا يعيبه، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، وكان يصبر للغريب على جفائه في كلامه ومسألته، وكان يُمازح أصحابه: يضحك ممّا يضحكون، ويتعجب ممّا يتعجبون، يعود مرضاهم في أقصى المدينة، ويداعب صبيانهم ويُجلِسُهم في حجره، ومع شدة حبه للصلاة وولعه بها - يُسرِع فيها إذا سمع بكاء صبي، وكان يقول: «إني لأقوم في الصلاة وأريد أن أطول فيها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه».

أمّا موقفه من الدنيا وزينتها وأموالها ومتاعها فقد لخصه في جوامع كلمه بقوله -صلوات الله عليه -: «مالي وللدنيا، وما أنا والدنيا إلا كراكب، استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها»، وراه عمرٌ مرةً مضطجعا على حصير قد أثر في جنبه فهُمَلَتْ عينا عمر، فقال له: مالك؟ فقال: يا رسول الله! أنت صفوة الله من خلقه؛ وكسرى وقبصرٌ

فيما هما فيه؟ فاحمرَّ وجهه - عليه السلام - وقال: «أوفي شكُّ أنت يا بن الخطاب؟ ثم قال: أولئك قوم عَجَلَتْ لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا».

وقد حجَّ حجة الوداع، والمسلمون معه مدَّ البصر، وجزيرة العرب من أقصاها إلى أقصاها في قبضة يده، فكان على رَحْلٍ رثٍّ، عليه قطيفةٌ لا تُساوي أربعة دراهم، وكان يدعو: «اللهم اجعله حَجًّا لا رياءَ فيه ولا سمعةً».

.. هذا قليل من كثيرٍ ممَّا وصَفَه به صحابته - رضوانُ الله عليهم - وردَّده من بعدهم المسلمون والمؤمنون به وبرسالته، وعلى الجانب الآخر هناك الكثير أيضًا ممَّا قاله عنه عيون المفكرين والعلماء والفلاسفة، والأدباء ومؤرخي الحضارات في الشرق والغرب من غير المسلمين، من أمثال «غاندي» و«راماكريشنا» و«لامارتين» و«مونتجمري وات» و«زويمر» و«تولستوي» و«مونتيه» وغيرهم مما لا يتسع المقام لذكرهم، وسرد ما قالوه عنه وعن أخلاقه، وعن شريعته وآمالهم في أن تعود لتُصحح مسيرة العالم اليوم، وتُنقذ مصيره من هلاكٍ مرتقبٍ ودمارٍ مُتوقعٍ.. وأكتفي من بين ما كتبه هؤلاء باقتطاف ما قاله «برناردشو» الكاتب والناقد الإنجليزي الذائع الصيت الذي تعرفه الدنيا بأسرها، والمتوفى سنة 1950، يقول هذا المفكر العملاق عن رسول الإنسانية محمد ﷺ: «إنَّ أوروبا الآن بدأت تحسُّ بحكمة محمد ﷺ وبدأت تعسُقُ دينه، وإنَّ أوروبا سوف تُبرئ الإسلام ممَّا اتَّهمته به من أراجيف رجالها ومُفكرِّيها في العصور الوسطى، وسيكون دين محمد ﷺ هو النظام الذي تُؤسَّس عليه دعائم السلام والسعادة، وتستندُ على فلسفته في حل المعضلات وفك المشكلات، وحلَّ العُقَد».

ويقول: إنِّي أعتقد أنَّ رجلاً كمحمد لو تسلَّم زمام الحكم المطلق في العالم بأجمعه اليوم لثم له النجاح في حكمة ولقاد العالم إلى الخير، وحلَّ مشاكله على وجه يحقق للعالم السلام والسعادة المنشودة.. ثم يقول: أجل.. ما أحوج العالم اليوم إلى رجل كمحمد ليُحلَّ قضايا المعقدة بينما هو يتناول فنجاناً من القهوة»..

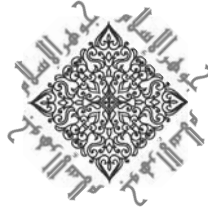
إذا كان برناردشو يرى ضرورة عودة الهدي المحمدي لإنقاذ عالمتنا اليوم، فإنَّ هذه الضرورة أراها ألزَمَ وأوجبَ لإنقاذ مجتمعات المسلمين من الأوضاع اللاإنسانية التي تردَّى فيها البعض ممن يزعمون انصياعهم لتعاليم هذا النبي الكريم، واتِّباعهم لدينه وشريعته، بينما هم يقتلون الأبرياء، ويحولون بيوت الله التي أذن أن تُرفع للذكر

والتسبيح إلى ساحات حرب تُزهق فيها الأرواح، وتُراق الدماء، وتُنشر الأشلاء، وتستباح الحرمات وتُهدر حقوق الناس، وحقوق النساء والفتيات والأطفال.

وإن هذا الوضع البائس ليُوحى للمهموم به بأمرٍ ثلاثة:

الأول: أن طوائف المسلمين وهم يقتل بعضهم بعضاً يُوظفون شريعة السلام في تبرير هذه الحرب، حتى أصبح بأسنا بيننا شديداً. الأمر الثاني: ما يُصدّره هذا العبث بالأرواح والدماء من صورٍ بالغة الوحشية تُغذي النزعات اليمينية المتطرفة في الغرب والشرق، (وما يسمى هناك بالإسلاموفوبيا) حتى أصبح الدفاع عن صورة الإسلام يبدو وكأنه أمرٌ يصعبُ قبُولُه، فضلاً عن تصديقه.. يعرف ذلك كلٌّ من قدّر له أن يدافع عن هذا الدين الذي ظلمه بعض أهله، ويُنافح عن سيرة نبيّه الذي تنكّر له بعض أتباعه، مع علمه أن هؤلاء وأمثالهم إنما يُوظفون هذا الدين لأهوائهم ومآربهم وهو منهم براء، وإن هتفوا باسمه وتزيوا بزيه..

الأمر الثالث: إن الخروج من هذه الأوضاع المعضلة لا يتحقق - فيما أعتقد - إلا بإحياء صحيح هذا الدين الحنيف، واتخاذهِ نبراساً في سلوكنا وتصرفاتنا، جنباً إلى جنبِ التأسّي بصاحب هذه الذكرى - صلوات الله عليه - ترسيخ هديه في مناهج تعليمنا، والاعتزاز برسالته وسنته.



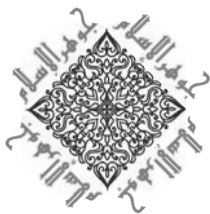
القصيدة السحابية في مدح خير البرية

لناظمها الشاعر زكرياء بوسحاب⁽¹⁾

ولا أخشى على نفسي العتابا
عظيم الخلق أشرفهم جنابا
ويرجوا من شفاعته اكتسابا
قلوب عاشقين تر الجوابا
نذيب بذكره شوقا مُهابا
ننال به من المولى الثوابا
وسهلت العوالي والصعابا
يغالب شره خيرا فغابا
وقلب الطفل يضطرب اضطرابا
ينير دروبنا بابا فبابا
وعلمت الورى هديا رضابا
وأرجو حين أمدحكم ثوابا
بنور الله تخترق السحابا
على خير الورى تجدوا الثوابا
تنالوا الخير عذبا مستطابا
يزيد إلى محبته اقترابا
بمن فقدوا بحقدهم الصوابا
على نهج به رفع الحجابا
لمدوا نحوه حبا رقابا
على المختار من زكى وطابا
إلى أن يخلع الغيث السحابا

سحاب الحب ينساب انسيابا
نبي الله يا خير البرايا
فؤادي نحوه يرنو حريصا
فسل عن طيب رحمته بصدق
هلموا أيها العشاق كيما
فحبك يا نبي الله فرض
فكم أرشدتنا هديا مينا
لقد طغت الجهالة في سباق
وكان الوأد فينا مستباحا
إلى أن جئتنا بالوحي نورا
شفيت نفوسنا من كل خبث
أبا الزهراء معترف بعجزي
أضاء الكون يوم ولدت طرا
عباد الله فاجتهدوا وصلوا
وسيروا في هداه على وضوح
وترشفوا بسيرته معينا
تأسوا بالنبي ولا تبالوا
وعضوا بالنواجذ في ثبات
فلو ذاقوا محبته بحق
صلاة الله تترى والسلام
وعثرته وكل الصحب طرا

(1) مدير منتدى الأسرة المغربية للدراسات والبحوث، وباحث في سلك الدكتوراه جامعة القاضي عياض -مراكش-المغرب.



في رياض السنة

الحديث التاسع عشر وصايا محمدية لتركيز العقيدة الصحيحة السوية

بقلم الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

عن أبي العباس عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقال لي يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، أحفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف» رواه الترمذي وفي رواية غير الترمذي «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك واعلم أن النصر مع الصبر وإن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا».

راوي هذا الحديث هو الصحابي الجليل ترجمان القرآن وحبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ولد بمكة المكرمة قبل الهجرة بثلاث سنوات. كان رضي الله عنه محل عناية رسول الله صلى الله عليه وسلم وعطفه فقد دعا له فقال «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل، اللهم علمه الحكمة وتأويل القرآن، اللهم بارك فيه وانشر منه واجعله من عبادك الصالحين» واستجاب الله لدعاء رسوله عليه الصلاة والسلام. يقول ابن عباس رضي الله عنهما «لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت

لرجل من الأنصار هلم فلنسال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم اليوم كثير فقال واعجبا لك يا ابن عباس أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من فيهم قال فتركت ذاك وأقبلت اسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحديث فانه كان ليبلغني الحديث عن الرجل يأتي بابه وهو قائل «من القيلولة» فأتوسد التراب فيراني فيقول يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء بك هلا أرسلت إلي فأتيتك فأقول لا أنا أحق أن أتيتك فأسألك عن الحديث فعاش ذلك الرجل الأنصاري حتى رأيته وقد اجتمع الناس حولي يسألون فيقول هذا الفتى كان أعقل مني».

كان عمر وعثمان رضي الله عنهما يدعوانه فيشير عليهما مع أهل بدر وقد قال بعضهم لعمر أتدعو هذا الفتى وفي أبنائنا من هو مثله فقال: انه ممن علمتهم فدعاهم يوما ودعاه معهم فسألهم عن هذه السورة (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسيح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا) فقالوا أمر الله نبيه إذا فتح الله عليه أن يستغفر وان يتوب إليه فقال له ما تقول يا ابن عباس فقال ليس كذلك ولكنه اخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بحضور أجله فقال (إذا جاء نصر الله والفتح) أي فتح مكة ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا أي فذلك علامة موتك فسيح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقال كيف تلو منوني عليه بعدما ترونه».

* قال عنه عمر «والله إنك لأصبح الفتيان وجهها وأحسنهم عقلا وأفقههم في كتاب الله عز وجل».

* قال ابن مسعود «نعم ترجمان القرآن ابن عباس لو أدرك أسناننا ما عاشره منا احد».

* قال مسروق «أدركت خمسمائة من الصحابة إذا خالفوا ابن عباس لم يزل يقررهم حتى يرجعوا إلى قوله».

* وقال «كنت إذا رأيته قلت احلم الناس وإذا تكلم قلت أفصح الناس وإذا حدث قلت اعلم الناس».

* قال عمر بن دينار «ما رأيت مجلسا اجمع لكل خير من مجلس ابن عباس».

* قال طاووس «ما رأيت أحدا كان اشد تعظيما لحرمان الله تعالى من ابن عباس».

* وعن ابن عمر إن رجلا أتاه يسأله عن قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كَأَنَّا رَتَقًا فَقَفَقْنَاهُمَا» فقال اذهب إلى ذلك الشيخ فأسأله ثم قال تعال فاخبرني في ما قال فذهب إلى ابن عباس فسأله فقال ابن عباس كانت السماوات رتقا لا تمطر وكانت الأرض رتقا تنبت ففتق هذه بالمطر وهذه بالنبات فرجع الرجل إلى ابن عمر فاخبره فقال إن ابن عباس قد أوتي علما صدق هكذا كانت ثم قال ابن عمر قد كنت أقول ما تعجبني جراءة ابن عباس على تفسير القرآن فالآن قد علمت انه أوتي علما».

* كان يقول «خذ الحكمة ممن سمعت قان الرجل ليتكلم بالحكمة وليس بحكيم فتكون كالرمية بدون رام».

* وشتم رجل ابن عباس رضي الله عنهما فقال له «انك تشتمني وفي ثلاث خصال إني لآتي على الآية من كتاب الله تعالى فأود ان جميع الناس يعلمون منها ما اعلم واني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح ولعلي لا أقاضي إليه أبدا واني لأسمع بالغيث قد أصاب البلد من بلاد المسلمين فأفرح ومالي به سائمة».

* وكان يقول: ما بلغني عن أخ لي مكروه قط إلا انزلته احد ثلاث منازل : إن كان فوق عرفته له ذلك من قدره وان كان نظيري تفضلت عليه وان كان دوني لم احتفل به هذه سيرتي في نفسي فمن يرغب عنها فارض الله واسعة.

* وكان يقول «لأن أعول أهل بيت من المسلمين شهرا أو جمعة أو ما شاء الله أحب إلي من حجة بعد حجة ولطبق بنادق اهديه إلى أخ لي في الله أحب إلي من دينار أنفقه في سبيل الله عز وجل».

توفي رضي الله عنه بالطائف سنة ثمان أو تسع وستين أو سبعين للهجرة رحمه الله وجزاه عن الأمة ودينها خير الجزاء.

لما بلغ جابر بن عبد الله وفاته صفق بإحدى يديه على الأخرى وقال «مات اعلم الناس واحلم الناس ولقد أصيبت به هذه الأمة مصيبة لا ترتق».

ذلك أيها القارئ بعض ما أورده الشبرخيتي في شرح الأربعين عند بلوغه إلى هذا الحديث الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما أورده كمدخل لشرح هذا الحديث الجليل المشتمل على جانب هام من جوانب الدين.

المعلم في هذا الحديث هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول في حق نفسه «إنما بعثت معلما» ويقول: «كن عالما أو متعلما ولا تكن الثالث فتهلك» المعلم

هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول الله في حقه ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ المعلم هو من لا ينطق عن الهوى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ والمتعلم هو ابن عباس ذلك الغلام الناشئ في طاعة الله، الراغب شديد الرغبة في تحصيل العلم وحفظه وقد أراد الله به خيرا ففقهه في الدين وكان له من بركة دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شهد به له الجميع. انه تعليم في شكل وصية جامعة بدأت بقوله عليه الصلاة والسلام لابن عباس رضي الله عنهما ولكل الأمة «احفظ الله يحفظك».

وحفظ الله إنما يتصور بالإيمان وباللله وعدم الإشراك به وبإتيان أوامره وعدم تركها وباجتناب ما نهى الله عنه وحرمه من الرذائل والخبائث ما ظهر منها وما بطن. ومن يحفظ الله في ذلك أي بمراقبة الله في الحركة والسكنة وفي الكبيرة والصغيرة وفي القول والفعل، وفي الخطرة وما يخفى الصدر. حفظ الله، في حفظ ما وهب وأعطى من الملكات والنعم بأن لا تسخر إلا في ما يرضي الله ولا يعصي بها الله سبحانه وتعالى من يحفظ الله فانه موعود بحفظ الله له الحفظ الشامل الكامل الذي لا يتأخر والذي لا يمكن أن يحول دونه حائل، إن حفظ الله لعبده المطيع لا ينبغي أن يقيد بجانب من الجوانب انه حفظ لا حد له.

والجزاء من الله هو من جنس العمل الذي يقدمه العبد، يقول جل من قائل (وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم) (اذكروني أذكركم) إن من يحفظ الله في صغره يحفظه الله في كبره.

قال الجويني وقد وثب ذات يوم وثبة لا تتناسب مع تقدم سنه «جوارح حفظناها من المعاصي فحفظها الله علينا في الكبر» ويمكن أن يتجاوز حفظ الله لعبده إلى حفظ الأبناء قال الله تعالى (وكان أبوهما صالحا) قال سعيد بن المسيب لابنه «إني لأزيد في صلاتي من أجلك رجاء أن تحفظ» ثم يتلو (وكان أبوهما صالحا).

وكان عمر بن عبد العزيز يقول «ما من مؤمن صالح يموت إلا حفظه الله عز وجل في عقبه وعقب عقبه».

قال ابن المبارك «إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده والدويرات التي حوله».

«احفظ الله تجده تجاهك» تجاهك بمعنى أمامك أي تجد الله حيثما توجهت

وقصدت في أي أمر من أمور الدنيا والدين، فالله مع عبده المؤمن المطيع الذي يخافه ويخشاه ويرجوه ويأمل في نيل ما عنده من خير عظيم وعد به عبادته المتقين. إن المعية لله تحقق للعبد المؤمن الراحة والأمن والسكينة والطمأنينة والعزة والقوة. فلا يخاف ولا يخشى ولا يحزن ولا يهن.

«وإذا سألت فاسأل الله» فالله تبارك وتعالى هو المسؤول وهو الذي تمتد إليه الأيدي وهو الذي يعطي بلا منّ وهو الذي ما عنده باق انه الفرد الصمد الذي لا يعي بقضاء حوائج عباده، إنما أمره للشيء أن يقول له (كن فيكون) انه سبحانه الغني الجواد الكريم، المتفضل أمر عباده أن يسألوه ويطلبوا منه الصغير والكبير (أجيب دعوة الداع إذا دعاني) (أمن يجيب المضطر إذا دعاه) (وقال ربكم ادعوني استجب لكم) إن الله سبحانه وتعالى يحب من عبده أن يلجّ في السؤال ويحب من العبد أن يسأله حتى ملح طعامه فما دونه ففي ذلك اظهار للافتقار الكامل من العبد للمولى جل وعلا وتلك قمة العبودية لله سبحانه وتعالى.

سؤال غير الله والطلب من غير الله عز وجل لا يليق بالعبد المؤمن؛ قال طاووس لعطاء «إياك أن تطلب حوائجك ممن يغلق بابه دونك وعليك بمن بابه مفتوح إلى يوم القيامة أمرك أن تسأله ووعدك أن يجيبك».

وقال عامر بن قيس «قرأت آيات في كتاب الله فاستغنيت بالله عن الناس قوله تعالى ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ فلم أسأل غيره كشف ضري وقوله تعالى ﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ فلم أرد الخير والفضل إلا منه وقوله عز وجل ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ فلم اطلب الرزق من غيره فأغنانني الله عن الناس بهذه الآيات.

* وقال الفضيل بن عياض «أحب الناس إلى الناس من استغنى عن الناس وابغض الناس إلى الناس من احتاج إلى الناس وسألهم وأحب الناس إلى الله عز وجل من سأله واستغنى به عن غيره وأبغض الناس إليه من استغنى عنه وسأل غيره».

* وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من استغنى بالله عز وجل أحوج الناس إليه» وكان الإمام احمد بن حنبل يدعو فيقول «اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك فصنه عن مسألة غيرك».

وسال رجل الإمام احمد بن حنبل أن يوصيه فقال له «إن كان الله تكفل بالرزق فاهتمامك لماذا. وإن كان الرزق مقسوما فالحرص لماذا. وإن كان الخلف على الله

فالبخل لماذا. وان كانت الجنة حقاً فالراحة لماذا. وان كان النار حقاً فالمعصية لماذا. وان كانت الدنيا فانية فالطمأنينة لماذا. وان كان الحساب حقاً فالجمع لماذا. وان كان كل شيء بقضاء الله وقدره فالحزن لماذا.

«وإذا استعنت فاستعن بالله» الاستعانة هي طلب الإعانة وطلب الإعانة لا يكون إلا من القادر على إسداء المعونة وهو سبحانه وتعالى على كل شيء قدير. فالعبد المؤمن مأمور بأن يتوجه في طلب الإعانة إلى الله الذي يؤمن به ويعبده ويخصه بذلك دون سواه يقول جل من قائل على لسان عبده المؤمن في فاتحة الكتاب ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وقدم في العبادة وفي الاستعانة (إياك)، الذات الإلهية ولا يخفى ما في ذلك التقدير من لفت الانتباه ومن البلاغة والوقع الشديد على النفس، في ذلك تذكير ما أوحى العبد إليه حتى لا يغفل عن هذه الحقيقة الإيمانية البديهية التي من شأنها إن تحرر العبد المؤمن من كل عبودية وفاقة وحاجة ومذلة لغير الله سبحانه وتعالى.

انه مقام رفيع لا يصل إليه إلا الكمل من صفوة خلق الله من الأنبياء والمرسلين، الم يقل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يوم الطائف لملك الجبال الذي كان رهن إشارته «لو شئت أن أطبق عليهم الأخشيين» ما زاد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان قال «اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون» ألم يفوض أمره لربه؟ «إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ولكن عافيتك أوسع لي لك العتبي حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

* ألم يقل سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام لما أُلقي في النار واعترضه جبريل عليه السلام وقد سأله ألك حاجة؟ قال سيدنا إبراهيم عليه السلام: أما فلا قال سل ربك قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي؟

* وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز «لا تستعن بغير الله يكللك الله إليه» وسؤال غير الله والاستعانة به هو سوء أدب مع الله ومما يخشى على العبد عواقبه.

قال بعض العارفين «لا تطلب معونة المخلوق فتتوجه عليك الحقوق وقد لا تنفي بها وعليك بالافتقار والانكسار والذلة والاضطرار ممن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء». وقال بعضهم «لا تكن عبداً إلا لمن يقوم بمصالحك يعينك على مآربك وما يقوم بأمورك إلا الله فلا تستعن إلا به ولا يستعبدك سواه فهو المسخر لك عباده».

(واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت

الأقلام وجفت الصحف) إن النافع والضار والمعطي والمانع والمعز والمذل والمحبي والمميت هو الله، تلك هي عقيدة المؤمن الراسخة وهي التي تذكر بها آيات الكتاب العزيز وأحاديث الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام (قل كل من عند الله) (ما بكم من نعمة فمن الله) (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله) (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب) تلك هي العقيدة الصحيحة وذلك هو الإيمان الراسخ الصادق، انه الإيمان بالقضاء والقدر.

فما هو مقدر في الأزل في علم الله لا يمكن أن يصرفه صارف وان ما هو غير مقدر لا يمكن أن يجلبه احد مهما أوتي من قوة وعدد وعدة.

إن هذه العقيدة هي بلسم بالنسبة للمؤمن تحرره من كل المخاوف فيعلم علما يقينيا انه لن يصيبه إلا ما قدره الله له.

إن هذا الحديث يركز هذه الحقيقة «واعلم أن الأمة لو اجتمعت...». أي جمعت ما عندها من طاقات وإمكانات وكان بعضها لبعض ظهيرا ومعينا ومع ذلك فإنهم بجمعهم لا يستطيعون جلب النفع لمن يريدون جلبه له إلا بالمقدار الذي كتبه الله وهم إن جرى على أيديهم شيء فالأصل فيه المشيئة والإرادة والقدرة الإلهية التي لا حد لها والتي تقول للشيء كن فيكون. وكذلك الشأن بالنسبة لإلحاق الضرر فإن هذا الضرر إن حصل شيء منه فقد كتبه الله على عبده فالفاعل في الكل هو الله وقد سبق كل ذلك في علم الله قبل خلق العالم بمن فيه وبما فيه «رفعت الأقلام وجفت الصحف» انه تحرير للعبد المؤمن من كل الأطماع والمخاوف وتقوية لثقلته في ربه أولا ثم في نفسه فلا يتهاوى أو يتنازل عن كرامته وهو يطلب حوائجه «اطلبوا حوائجكم بعزة النفوس فإن الأمور تجري بمقادير» ولا هو يجزع ولا يخاف ولا يخنع فيذل وينهار وهو في الحالتين «الطمع والخوف» متصف بما لا يليق بعزة المؤمن وانفته ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ (إن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين).

وتزيد بقية الرواية التي يوردها الإمام أحمد في مسنده معاني هذا الحديث رسوخا ووضوحا (احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك، تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك واعلم ان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا) ما ابلغها من حكم محمدية ووصايا نبوية تثبت الأيام صحتها «تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة» فمن يعمل بمقتضى هذه النصيحة أو الوصية أي لا تطغيه الدنيا إذا أقبلت

بمالها وجاهها وسائر بهازجها ولا تغيره ولا تبدله فيبقى دائما واقفا عند حدود الله لا يطغى ولا يظلم ولا يأتي أي فعل أو تصرف من شأنه أن يغضب ربه واهب تلك النعم (الصحة، الجاه، المال، البنين، وغير ذلك) فهو يسخر كل ذلك لشكر خالقه وواهب النعم له فيزيده الله جزاء على شكره الفعلي ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ فصنائع المعروف تقي مصارع السوء ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ فما من احد من عباد الله إلا وتعرضه في حياته صعوبات ونوائب فمن كان في حالة رخائه وهنائه متعرفا على ربه فإن الصعوبات والنوائب يكون فيها محفوفاً بالطفاف الله وعنايته ورعايته.

فما يصرفه الله عن الإنسان لن يصيبه به احد من الخلق وما قدر الله أن يصاب به الإنسان لن يخطئه مهما احتاط وتوقى واعد واستعد.

ويضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول مذكرا بحقيقة ملموسة محسوسة فالنصر الذي هو من عند الله هو مع الصبر ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ وهذا النصر إنما يكون بالصبر والمصابرة فالصبر نصف الإيمان والمتحلي به يوفيه الله أجره بغير حساب، والكرب مهما اشتد وادلهم لا بد إن يعقبه الفرج وعد بذلك مفرج الكرب سبحانه وتعالى فهو مجيب المضطر وهو على كل شيء قدير وان العسر مهما احكم واستحكم لا بد أن يعقبه يسر وعد بذلك المولى جل وعلا في كتابه العزيز فقال ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ وقال تعالى ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ وعن انس رضي الله عنه إن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لو جاء العسر فدخل هذا الجعر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه» وروى الحاكم عن الحسن البصري مرسل أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال «لن يغلب عسر يسرين».

إن هذا الحديث الجامع من الأربعين النووية يحتوي على معان لا يمكن حصرها والإتيان عليها، انه قاعدة من قواعد الإسلام واصل من أصوله، وهو من جوامع كلمه عليه الصلاة والسلام وهو بروايتي الترمذي واحمد يغرس في نفس المؤمن ويركز في قلبه عقيدة التوحيد الصحيحة الواضحة الخالية من كل شبهة والنافية لكل شرك. وورد هذا الحديث في شكل وصية تعليمية من رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما وهو غلام دعوة إلى المسلمين كي يتهجوا هذا النهج المحمدي مع أبنائهم منذ نعومة أظفارهم حتى ينشؤوا على هذه العقيدة ولا يخشى عليهم بعد ذلك الزيغ والضلال.



الحياة الإيمانية

بقلم المفكر الهندي وحيد الدين خان - رحمه الله

إنّ هذه الجَنَّة لا يمكن أن يَحْصُل عليها إنسانٌ بثمرٍ زهيدٍ وإنما هي الجائزةُ لروح مطمئنةٍ مؤمنةٍ أثبتت إيمانها بكلِّ طرقِ الإثبات . فإنَّ الإيمانَ ليس أمراً هيناً ولا يكون الإنسانُ مؤمناً بممارسة بعض الواجبات الإسلامية مع الذوبان في الحياة الدنيوية العادية . إنّ الإيمانَ ليس عمليةَ تركيب أو لحام شيءٍ بشيءٍ وترقيع عملٍ بعملٍ .. بل معنى الإيمان أن تُصبغ حياة الشخص بصبغة الإيمان، حتى يضمَّ الإيمان بين جناحيه سائر نواحي الحياة .. إنّ الإسلام ليس بمثابة (خنصر) بيد الإنسان بل هو (يد) الإنسان بكاملها فمن جعل الإسلام ذيلاً فقد أهان الإسلام وهوّون من شأنه، وفي المقابل فإنَّ الإسلام لا يطلب من شخص أن يلعب دور الضابط العسكري، أو يقوم بدور الشرطيِّ المعارض للحكّام ويحسب أنه يُحسن صنعاً، ويؤدّي واجباً إسلامياً .. إنّ هذه السياسة وضيعة لا تمتُّ بصلة إلى الإسلام، وإنَّ هذا الأسلوب جُرْمٌ يُقترف بحقَّ الإسلام، بل هو جريمةٌ للتهوين من شأن الإسلام .. وهو جزء من حركة تحريف الدِّين .

وكلا الأمرين (التلفيق في الدِّين أو التحوُّل إلى شرطيٍّ وقاضٍ وليس داعية) يشيران الغضب لا الرحمة من الله سبحانه وتعالى .

إنَّ المؤمنَ شخصٌ دخل في قلبه الإسلامُ على هيئة طوفانٍ نفسيٍّ جعله يجدُ ربّه

أقرب إليه من جبل الوريد، إنه إنسان ينشغل بمناجاة ربه، وغمرت خلوته بذكر الله، ولجم الإسلام لسانه فظل صامتاً لا يتكلم إلا عن ضرورة، وفي يديه ورجليه أغلال من خوف الله. إنه يشاهد ميدان الحشر قبل ساعة الحشر.

والواقع أن الأمر الذي يشاهده الكافر بعد موته يجربه المؤمن قبل موته فالمؤمن يعرف - من دينه - في حياته ما لا يعرف الكافر في حياته. إن الكافر سوف يراه - فقط - عندما تتمزق أستار الغيب أمام عقله، فيُصبح الغيب أمامه مشهوداً مكشوفاً.

إننا نعبر عن لهيب النار عندما يدركنا لظاها بكلمة (الحرارة) .. ونعبر عن إحساسنا بالثلج عندما نشعر بصقيعه بكلمة (البرودة) .. وهذا هو شأن المؤمن مع الإيمان، فإن الإيمان لا بد أن يجعل نفسه محسوساً في الخارج، يشعر المسلم الناس بحرارته ولهذا فوجود مؤمن على أية بقعة من الأرض يجب أن يكون ضماناً لاستمرارية الدعوة الإسلامية فيها، فإذا دخل الإيمان قلب الإنسان فلا بد أن يظهر أثره في الخارج .. وهذا هو معنى الدعوة الإسلامية.

إن الدعوة الإسلامية تتوخى إيجاد تغيير في الفرد لا إيجاد زعزعة في الكيان القومي أو الدولي. إن التغيير الإسلامي بمثابة ثورة نفسية أصلاً، وبما أن الثورة النفسية لا تحدث إلا في نفس الإنسان، فذلك يتركز تأثير الإسلام - أولاً - في الفرد. والواقع أنه ليس للكيان القومي أو الدولي أي وجود نفسي إلا من مجموع الكيانات الفردية. وإذا استهدف كياناً وطنياً أو دولياً للدعوة الإنسانية فكأنما رمى بسهامه في الفضاء رجماً بالغيب.

وربما نجد الأوضاع القومية أو الجغرافية تدفع بعض الناس إلى الحركة والنشاط، لكن إذا قُدر وبدأت الحركة في المجتمع الإسلامي نتيجة لهذه الأحوال السياسية أو القومية فلن تُسمى تلك الحركة حركة إسلامية.

والحال كذلك انطلق المسلمون في صراعهم مع العدو منطلقاً قومياً لكنهم عبروا عنه بكلمة (الجهاد) أو إذا شرح المسلمون صراعهم القومي بمصطلحات الدين، فإن هذا التفسير أو الشرح لا يمتان بصلة إلى الإسلام، ويكون تسمية ذلك إسلامياً تسمية غير حقيقية .. وهذا يستوجب العقاب ولا يستوجب الرحمة أو المنة. ومن هنا نرى أن كثيراً من الحركات الإسلامية التي برزت إلى حيز الوجود في هذا العصر لم تنل أية فائدة، كأنها لم تفز بأية درجة عند الله.

والحق أن كثيراً من هذه الحركات مجرد قلاقل واضطرابات وطنية لا علاقة لها

بالإسلام الحقيقيّ. إنّ حركة الدعوة الإسلامية هي حركة الدعوة إلى الجنة .. والجنة مكانٌ لطيفٌ ونفيسٌ سيعمرها أشخاصٌ تخلّقوا بأخلاق الله وقاموا بشهادة الحق في علاقاتهم اليومية وتحركوا بدافع من الآخرة لا من أجل هدف سياسي أو اقتصادي . إنّ هذه الدنيا دارٌ ابتلاء واختبار ولا يدخل الجنة إلاّ من فاز في هذا الاختبار وأثبت أنّه يستحق الفوز بالجنسية في الجنة. أمّا بقية الناس فيُرفضون ليعيشوا في هوة الظلام مطرودين من رحمة الله.

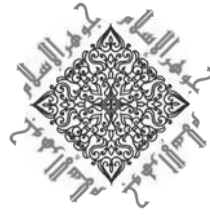
إنّ العالم الكونيّ جميلٌ وجذابٌ ما عدا عالم الإنسان .. انظر إلى عوالم الزهور والرياحين وإلى الأشجار الباسقات الوارفات الظلال ، وانظر إلى المناظر الطبيعية الممتدة بين الأرض والسماء .. إنها تأخذ بمجامع القلوب ويودّ الإنسان أن يراها دون أن يُغمض جفنيه ، ولكن على العكس من ذلك دنيا الإنسان فهي حافلة بالأرجاس والآلام والمظالم ، فلماذا هذا الفرق بين عالم الإنسان وعالم الكون ؟ ..

إنّ السبب الوحيد هو أنّ العالم الكونيّ تحكمه النواميس الإلهية الكونية دون اختيار ، ولهذا ظهرت كما شاء الله أن تظهر ، لكنّ الإنسان قد أعطاه الله الحرية، وبسوء استعمال هذه الحرية جعل هذه الدنيا جحيمًا. إنّ الله هو مالك جميع الخيرات والطيبات فإذا نفذ إرادته تكونت (الجنة) وإذا أمسك إرادته تكوّن الجحيم.

والسؤال المطروح هنا هو : لماذا عرّض الله هذه الدنيا للخطر بإعطاء الإنسان حرية التصرف ليتصرّف فيها كيف يشاء ويحوّل هذا العالم الجميل بسوء تصرّفاته وفساد أعماله إلى دار عذاب ؟ ..

والجواب أنّ ذلك للاختبار والاختيار .. فالفائزون من بني آدم يستحقّون الإقامة في دار الجنان .. والخاسرون لهم عذابٌ أليمٌ في جهنّم وبئس القرار .

حقيقة أنّ عالم الله الواسع ينقاد له سبحانه، بحيث لا يتمرّد عليه شيءٌ في هذا العالم من النملة إلى الكواكب والمجرات العظيمة .. ولكن جميع هذه المخلوقات منقادة بدون شعور ، ولا تعلم شيئاً إلا الطاعة والانقياد وهي لا تستطيع غير ذلك، فأراد الله أن يخلق مخلوقاً يتمتع بالحرية فيستعمل هذه الحرية لطاعة الله بإرادة وشعور على علم وعن عمد فكان هذا المخلوق هو هذا الإنسان.



مفاهيم إسلامية

مخاطر التوزع والتشتت على الأمة ودينها

بقلم الشيخ الحبيب المستاوى - رحمه الله

تعيش العائلة بخير ما توجه كل فرد من أفرادها إلى ما نيظ بعهدته فأتقنه وقام به على الوجه الأكمل ولم يتدخل في ما نيظ بعهدة غيره إلا تدخل نصح وتوجيه يكسوهما ثوب من اللطف والاحترام والحكمة.

وتحتدم الخصومات وتتعر الأواء وتنقسم الروابط متى اشتغل كل فرد من أفرادها بما لا يعنيه ولم يترك لغيره حرية التصرف وفرصة الاختيار إذ بذلك يتمزق برقع المجاملة والاحترام والتقدير .

وان الدارس لحياة المجتمعات البشرية في نطاقها الأصغر والأكبر وفي طورها الصاعد والنازل ليلمس اثر هذه الظواهر واضحا للعيان فما من عائلة أو قبيلة أو أمة ارتفع مستوى أفرادها إلى إدراك المسؤوليات وتنزيلها على أصحابها حسب مستوياتهم ومدراكهم وطاقتهم إلا حالفها التوفيق وأصبح كبارها يحدبون على صغارها وأقوياءهم يرأفون بضعافهم وأحداثهم يحترمون كل من تقدم منهم في السن ناهيك أن أبناء الأسرة التي يناهز عدد رجالها الخمسين لا تسمع واحدا منها ينادي من يكبره في العمر إلا بلفظة سيدي فلان، ومثل هذه الألفاظ تدغدغ العواطف وتداعب شعور الحنو والرحمة فيجد الكبير نفسه مدفوعا بدافع لا شعوري إلى تحقيق معاني السيادة والأبوة تلقاء ذلك الحفيد البار الذي حول

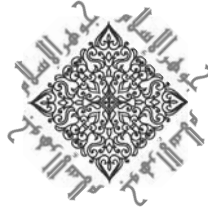
نفسه إلى مرتبة ابن الصلب الأدنى ولقد كان مجتمعنا حريصا كل الحرص على المحافظة على كل هذه المقومات الأصيلة التي تنبع من تراثه الديني والاجتماعي والتاريخي، ولطالما جعلها منطلقا لما ينشده من ارتباطات أوسع واشمل في النطاق الخاص وفي النطاق العام بل وفي نطاق العقيدة والمبدأ الذي هو أحقها بالاعتبار والعناية واجداها في دنيا المنافع الدائمة والحقائق القارة واني لا اعتقد أنها حلقات متصلة ببعضها وثيق الاتصال والالتئام ولا يمكن أن تكون سلسلة إلا متى كانت كذلك فأدنى عطب يصيب إحدى الحلقات يقضي على مفهوم السلسلة ويعطل نورها الذي تقوم به في ربط الشارد وتقييد الناشز، ولقد شاءت الأقدار أن تتظافر عوامل الفطرة البشرية السليمة والتعاليم السماوية الحكيمة والأنظمة الاجتماعية المعتمدة على دعم الروابط البشرية فنوعت الحقوق والوسائل التي تحقق الارتباط وتحافظ عليه: من البر بالوالدين إلى صلة الرحم إلى حقوق الجوار والمحبة إلى الأخوة الدينية إلى حب الوطن والإخلاص لبلديه كل ذلك لكي لا تترك ثغرة واحدة يتسرب منها الانحلال والتفكك لان وجودهما بخلية من خلايا المجتمع يكفي لجعله يتآكل ثم ينهار ويتبعثر ومشاهد التاريخ خير منبئ بما ارتكست فيه البشرية من خيبات مريرة وشقاء ممض سببها سوء تقديرها لعواقب التبعر والتفكك فلنستنطقه (فعند جهينه الخبر اليقين) وماذا غير التاريخ يلقي البشرية عبر الدهور، ويجنبها فوادم الشرور فلنستفتي عنها (وسل بها مثل خبيرا) لقد أرانا رأي العين ما كانت عليه امتنا العربية قبل الإسلام من تفكك وكيف أهدرت طاقاتها الخلافة فذهبت هباء منثورا. وارانا رأي العين واللمس والحس، كيف أصبحت حيث نمت الإسلام ما بينها من روابط واحكم اتصالها انقلبت بين عشية وضحاها امة الخلود والعظمة والمجد وسمعنا بأذاننا حكمه الخالدة وملا بها قلوبنا إذ انزل الله في قرآننا المحفوظ آلاف الآيات التي تذكرنا دوما وتحذرنا وتملا قلوبنا خشية من العودة إلى ما كنا عليه في جاهليتنا الأولى (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين) تلك هي نوااميس الطبيعة البشرية وذلك هو نسق سيرها الرشيد وجميع ما حاد بها عن مدار خطها المستقيم اعتبر زيفا وضلالا، بل اعتبر تغييرا لخلق الله ومعاكسة لسنة الوجود البشري (ولن تجد لسنة الله تبديلا) وان من يفتش بدقة عن مكن العلة يجدها رابضة في عقر بيوتنا وفي سويداء قلوبنا ذلك أن بدايات

الانحراف عن مهيع الصواب تبتي من تنشئة الأبناء الذين هم جيل الغد وورثة الأموال والأوطان والمبادئ فإذا درج الأطفال في بيوت شغل أربابها بزخارف حياتهم وتوزعتهم أهواؤهم وعواطفهم فأنهكت منهم الأجسام والعقول حتى إذا ما رجعوا لبيوتهم رجعوا منهوكين مكدودين فاستسلموا إلى النوم العميق كأنهم في نزل يؤمه عابر السبيل ليأخذ قسطه من الراحة والنوم هكذا يعيشون دائما وعلى هذا الأسلوب يشب أبناءهم أيتاما وما هم بالأيتام، فمن أين يا ترى يمكن أن توجد تلك اللحمة المقدسة التي تربطهم بأبوة وأمومة؟، ثم تصلهم بأخوة وعمومة ثم يتسع نطاقها إلى ما تتسع له من أخوات أخرى يحتمها الواقع الإنساني والاجتماعي والقومي والمذهبي؟ من أين يمكن أن توجد هذه اللحمة إذا كان كل شيء في الحياة يحمل على استئصالها أو على الاستغناء عنها إنها إذا انعدمت في البيت وفي التنشئة العقائدية. وفي الحياة العملية التطبيقية انعدمت أصلا من الحياة العامة. ومن الميادين التي لا يتصور وجودها إلا بها.

والغريب في الأمر أن الكافرين بالروابط والمتحليلين من عمومها يستعملون جزءا منها في نيل بعض أوطارهم الخاصة فيركبون إليها تارة متن القبيلة وأخرى مطية الجهة فما إلى ذلك مما هم أبعد الناس عنه وإنما ذلك لحاجة في نفس يعقوب قضاها.

لا أبدا على رسلكم أيها الأبناء إن القبيلة والجهة والإقليم أمور فرعية لا يمكن الذهاب إليها إلى أن نصل بها إلا الأمة التي هي الأصل الأصيل فالظل الظليل:

أما إذا كانت لغايات شخصية ومنافع عرضية فهي الضلال والتضليل ولن يسمح الرشداء من الأمة ومن بيدهم أزمته لكائن من كان أن يضرب في قيثاره الجهويات والقبلية والمناطق، وليس منا من أحيا بيننا نكرة جاهلية لأننا رأينا والمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين أن سبب كل بلاء حل بآبائنا وجدودنا كان منشأه الأول التوزع والتشتت وأول الغيث قطر وبداية الحريق شرارة فلنعنى بأنفسنا وأبنائنا حتى ينشأوا سالمين من الآفات شاعرين بالارتباطات والاتصالات عاملين على تقويتها مؤمنين بأنها سر الخلود وعلامة الرشد. وسلاح كل معركة يخوضها الإنسان الذي هو مناضل مدى الحياة ومجاهد حتى يلقي ربه فيجازيه جزاء المجاهدين الأبرار.



المعرفة الربانية

بقلم الدكتور نجم الدين خلف الله - فرنسا

1. يُقسّم العلماء وسائلَ تحصيل المعرفة التوحيدية، معرفة الله تعالى، إلى قسمين: يتوسّل الأول بالبرهان العقليّ الذي يُدَلّل على المباحث بالمنطق والدليل. ويتبع الثاني الوجدان والذوق القلبِيّ. ذلك أن غاية الغايات التي تصبو جميع الأديان إلى تحقيقها، عبر الشرائع والشعائر، إنما هي معرفة الحق تبارك وتعالى في أسمائه وصفاته وأفعاله، ثم التقرب إليه بناءً على هذا الإدراك الذهني أو الوجداني الذي يحصل منه علمٌ ضروري بوحداية الله واتصافه بكل صفات الكمال والجلال والجمال.

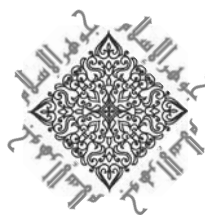
2. يقول الشيخ سيدي محمد المدني: «وقوله تعالى:» فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ «دَلِيلٌ عَلَى وُجُوبِ هَذَا الْعِلْمِ لِأَنَّ الْأَمْرَ إِذَا أُطْلِقَ يَنْصَرِفُ لِلْوُجُوبِ، أَيُّ فَأَعْلَمَ أَيَّهَا الْمَكْلَفُ أَنْ لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ مَوْجُودٍ إِلَّا اللَّهُ كَمَا يَقُولُ أَهْلُ الْبَرْهَانِ أَوْ فَأَعْلَمَ أَنْ لَا مَوْجُودَ عَلَى التَّحْقِيقِ إِلَّا اللَّهُ كَمَا يَذُوقُهُ أَهْلُ الْعِيَانِ. وَلَمَّا كَانَ عِلْمُ التَّوْحِيدِ قَسْمَيْنِ: قَسْمٌ بِالذَّلِيلِ وَالْبَرْهَانِ وَيُسَمَّى عِلْمُ الْكَلَامِ، وَقَسْمٌ يَحْصُلُ بِالذُّوقِ وَالْوُجْدَانِ وَيُسَمَّى عِلْمُ التَّصَوُّفِ وَالْعِلْمِ الْبَاطِنِ، حَصَرَ النَّاطِقُ...». (منهل التوحيد).

3. فأما الطريق الأول، طريق الدليل والبرهان، فقد أتى فيه علماء الكلام بفصل الخطاب من حيث عرض الأدلة العقلية والبراهين الساطعة على وجود الله ووحدانيته وسائر الصفات لديه وردّوا شبه المشكّكين، ودفعوا مظنّات التشكيك، مُجيبين

في جدّ لهم على أطروحات المعتزلة والقدرية من الإسلاميين ثم على مقولات اليهود والمسيحيين وسائر الفرق التي تعايشت ضمن حضارة الإسلام، في كبريات الحواضر العربية، كبغداد والكوفة والقاهرة والقيروان. وقد جعلوا من علم التوحيد حقلاً معرفياً شائكاً يقتضي التسلح بالمفاهيم المنطقية والتضلع من أساليب الجدليين والمنطقيين. وحسب هذا المنهج، صار إدراك حقائق التوحيد رياضة عقلية عالية قد لا تناسب المستوى العام الذي عليه سائر المسلمين. وهنا نفهم جملة حجة الإسلام، الإمام الغزالي، عن علم الكلام: «هو علمٌ وافٍ بمقصوده غير وافٍ بمقصودي»، بمعنى أنه يساعد في إقامة الحجة على العقائد الإلهية لدى المشككين ولكنه قد لا يبعث الطمأنينة لسائر الطالبين الذين يبحثون عن برد اليقين بعيداً عن متاهات الجدل والبرهنة وما قد يعلق بها من آثار السفسطة.

4. وأما الطريق الثاني فهي المعرفة الذوقية التي تعتمد التربية الروحية وتركيزية البواطن من أجل حدس الحقائق الإلهية والشعور الداخلي بها شعوراً حُضوراً ومُراقبةً، لا معرفة دليل ومحاجة، وغالباً ما يسبح عبرها القلب في معالي الملكوت ويَطوف في أرجاء المعارف والحقائق، طواف طلبٍ واشتياق حتى تتجلى عليه هذه الحقائق وتفيض على قلبه الرقائق. وقد يعتمد في تحصيلها إما على التركيزية الفردية أو على سلوك الطريق على يد شيخ واصل موصول.

5. وفي كلتا الحالتين، المأمول من أصحاب النظر وأرباب السلوك تبسيط هذه الوسائل وعرضها ضمن خطاب حديث معاصر واضح يرغب في الاستزادة منه ويعين على التشبع منها حتى تُسدّ الفجوة بين هذه العلوم الإلهية وبين حساسية الشباب المعاصرين وتوقعاتهم، ويمكن حتى الجمع بين هذه الطرق وتقريب الشقة بينهما حتى يستفيد طلاب الحقيقة بمختلف أصنافهم من هذه المصادر الثرية وتعود إلى الفضاء الثقافي كرافد أصيل يُغذي العقول والقلوب مع توضيح للضروري المفيد وترك المُعقّد البعيد الذي ينفر منه الحس المعاصر. والمعادلة صعبة التحقيق ولا بد من تضافر الجهود فيها. والله الموفق.



من أعلام الزيتونة

المختار الدلالي العالم والفقيه

بقلم الأستاذ جهاد شيخ علي

هو فضيلة العلامة، و البحر الفهامة، العالم النحرير، و الجهيد الشهير، سيدي: «المختار بن صالح بن محمد بن أحمد الدلالي» رحمه الله تعالى وبرّده ثراه.

من أعلام مدينة الجلاء بنزرت، وأحد رموز الفكر والثقافة والأدب فيها. تعود أصوله إلى قبيلة ماجر من ولاية القصيرين، ففي بلدة اسمها الروحية ولد، قبيل انتصاب الحماية الفرنسية بنحو سنة، أي: تقريبا سنة 1880 رومي. اما شاهد قبر فضيلته فقد كتب عليه تاريخ الميلاد والانتقال إلى فسيح رحمة الله تعالى. فقد ولد في الفاتح من شهر جانفي سنة 1876 وتوفي يوم الخميس 31 جانفي 1974 وصليت عليه الجنازة عقب أداء صلاة الجمعة، بإمامة ابن أخته فضيلة الشيخ، سيدي: علي الدلالي عدل الإشهاد بمدينة بنزرت، والإمام الخطيب بجامع « المدينة » أو جامع « الإشعاع » كما يحلو لبعض أهلنا بجزرونة - المحروسة - تسميته، ثم بالجامع الكبير ببنزرت، خلفا لخاله بكلا المسجدين. ودفن بمقبرة « أبي النور » بنزرت. وبهذا يكون علمنا قد عاش ما يقرب من قرن من الزمان، فانتفع بعلمه وصلاحه وبركته البلاد والعباد. خرجت به عائلته وهو طفل صغير إلى القطر الليبي الشقيق، هروبا من بطش المستعمر الفرنسي الغاشم، فحفظ القرآن الكريم حفظا متينا على رواية سيدنا الإمام: « ورش عن نافع المدني » بزاوية: مزران أو ميزران (وهو مسجد وزاوية لتحفيظ

القرآن الكريم بمدينة طرابلس الغرب، يقع في زقاق متفرع عن شارع محمد المقرئ (وتعلم بها مبادئ وقواعد اللغة العربية.

وقد أفادني صديقي الأستاذ والشاعر المتميز نبيل بن الأزهر الدلالي المكنى بأبي سكينه وهو ابن ابن أخت المترجم له (الشيخ مختار خال والده) بشهادة أمينة حول الشيخ المختار الدلالي في فترة إقامته بالقطر الليبي، نقلها عن فضيلة الشيخ: محمود صبحي الأزهرى خطيب مسجد مزران نقلا عن والد الشيخ: الطاهر سبيطة (أصيل مدينة الزاوية) أن الشيخ المختار كان شابا نابها، كثير الحفظ، له ملكة عجيبة تتسع لحفظ الدواوين الشعرية والمتون العلمية، وأنه كان ذا صبر كبير، مرابطا بالزاوية لا يغادرها إلا للضرورة القاهرة. وأما عن عودته إلى أرض الوطن « تونس » فروايتان تتداولان في بيوتات آل الدلالي:

الأولى: أنه عاد مع أفراد أسرته من ليبيا ولحق بالتعليم الزيتوني. **الثانية:** أنه عاد إلى الإيالة التونسية بمفرده، ومن غير أن يعلم أحدا بذلك، ثم لحقت به أسرته. والسبب أنه لما شب فكرت عائلته بتزويجه بقرية له كانت ترافقهم، فقرر التخلص من هذه الزيجة التي ستعيقه حسب تفكيره عما يطمح إليه من طلب العلم والمعرفة، فكتب رسالة وختمها وأمنها لدي أمه المسماة « حفصة بنت دولة » (توفيت سنة 1925) ورجاها أن لا تسلمها لأبيه الحاج « صالح بن محمد » إلا بعد مضي ثلاثة أيام، يكون خلالها قد اجتاز الحدود الليبية ودخل التراب التونسي.

وفحوى هذه الرسالة: تبرير وتعليل لإعراضه عن الزواج ومفارقتة عائلته وعزمه على تلقي العلوم الإنسانية والمعارف الدينية، بالجامع الأعظم المعمور.

انخرط فضيلته بالتعليم الزيتوني، فظهرت عليه ملامح النبوغ والحكمة، وفاق أقرانه وأترابه فهما واستيعابا وتكوينا متينا، حيث تحصل على شهادة: التطويع سنة 1904 وقد تجاوز من العمر العشرين. ذلك أنه التحق بالتعليم الزيتوني في سن متأخرة نسبيا.

سمع بعلو همته وواسع اطلاعه وشمولية معرفته أمير البلاد في ذلك الوقت المشير « الناصر باي » فخصه بالرعاية والتكريم. وكلفه بتدريس أبنائه بالقصر ثلاث سنوات امتدت من سنة 1902 إلى سنة 1905 فأصبح على اتصال ببقايا الإنكشارية (جيش الترك) مما جعله يتقن لغتهم التركية. واستمرت علاقته بالبايات، فبعد وفاة « الناصر باي » قرب به إليه الباي الوطني، سيدي « المنصف باي » كما كلفه « أحمد باي

الثاني « بتدريس ابنتيه للا فاطمة وللا قمر. وقد سمي الشيخ: المختار الدلالي ابنتيه فيما بعد باسميهما.

قمر: ولدت يوم 01 أوت 1922 وتوفيت في 22 فيفري 2019

فاطمة: ولدت يوم 16 ديسمبر 1923 وتوفيت في 05 أكتوبر 2008

وفي حدود سنة 1904 سمي بأمر عليّ مدرسا من الطبقة الثانية لعلماء الزيتونة بالجامع الأعظم - المعمور - لمدة عشر سنوات تقريبا. فقد انتقل بداية من سنة 1913 إلى ولاية بنزرت وتحديدا إلى مدينة ماطر (40 كم عن مركز الولاية) ومن ثمة إلى مدينة بنزرت كموظف بدار العمل (دار القايد) وبالرغم من وظيفته الإدارية لم يفتر فضيلته يوما عن التدريس بمساجد بنزرت وجوامعها، كجامع حي الأندلس، والجامع الكبير، وجامع القصبه، ومسجد بن عبد الرحمان...

وأما عن الإمامة والخطابة فقد تقلدها رسميا سنة 1936 بالجامع القديم بجزرونة فهو من مؤسسيه وأول الخطباء فيه. وفي سنة 1950 انتقل للخطابة بالجامع الكبير خلفا للفقيه الشيخ: حمودة بوقطفة

وينقل أستاذ التاريخ محمد الصالح الوسلاتي - رحمه الله - أن الشيخ المختار الدلالي أول من تقلد الخطابة بالجامع الكبير من غير القضاة والمفتين (الشيخ النفطي - إدريس الشريف - محمد الصالح الخازن) خلفا للشيخ القاضي: محمد الصالح الخازن إثر عجزه عن مباشرة الخطابة لتقدمه في الشيخوخة.

لم يقتصر إشعاعه الديني على الخطابة والوعظ والإرشاد فحسب، بل كان يلقي الدروس والمحاضرات للطلبة والتلاميذ في الأدب العربي القديم والحديث والنحو والشعر والبلاغة... وكان يمارس دروس الوقف (سميت بذلك لأن رواتب المدرسين كانت تصرف من خزينة الأوقاف) مع ثلة من أقرانه، كأمثال: إدريس الشريف مفتي بنزرت، ومحمد النفطي قاضيها وغيرهما من الأعلام.

ولما جرى إصلاح التعليم الزيتوني عام 1945 رومي الموافق ل 1364 هجري على يد فضيلة المقدس المبرور، سيدي: محمد الطاهر بن عاشور شيخ الجامع الأعظم المعمور وفروعه، عين الشيخ المختار الدلالي مديرا لفرع بنزرت خمس سنوات امتدت من سنة 1949 إلى سنة 1954 ليخلفه صاحب الفضيلة الشيخ: محمد المختار السلامي رحمه الله مفتي الجمهورية التونسية الأسبق. وقد أظهر

في إدارته للفرع فطنة وحكمة وكياسة كبيرة خاصة في تعامله مع نخبة من المفكرين ورجالات التربية والتعليم، لهم شأن رفيع وشأو.

ثقافته:

هي الثقافة السائدة في ذلك العصر، إنها الثقافة التقليدية الشاملة، ذات الطابع الديني واللغوي والأدبي... فيمكن اعتبار المترجم له موسوعة أو خزانة علم متقلة في مادتي: التشريع والفقه المالكي، كما له إلمام كبير بجزئيات المسائل فضلا عن الكليات، حريصا على بيان الأحكام وتبليغ الرأي المشهور منها في المعاملات والأقضية والعبادات.

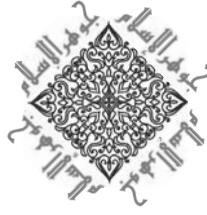
أما عن ثقافته اللغوية: فهي ثروة لا نظير لها، إذ شملت دقائق ورقائق المفردات اللغوية في مختلف المواد الأساسية للغة العربية كالبلاغة والبديع والنحو والصرف، والعروض والنثر والشعر وفقه اللغة... كما كان له اهتمام خاص وميل كبير لتدريس كتاب « قطر الندى وبل الصدى » للأنصاري، كما أفادني بذلك فضيلة شيخني، سيدي: عبد العزيز الرحموني حفظه الله.

إن ما يميز شخصية المختار الدلالي الملكة العجيبة التي جاد بها الله - عز وجل - بها عليه، ليحفظ عن ظهر قلب عشرات الدواوين الشعرية، والمتون العلمية، ومعرفته الدقيقة بالأسانيد والرواية... فهو يحفظ للبحثري وأبي تمام وأبي الطيب المتنبي وأبي فراس الحمداني... كيف لا؟ وقد استنجد به فضيلة العلامة: محمد الطاهر بن عاشور عند تحقيقه وشرحه لديوان بشار بن برد في بيت شعري لم يعلم قائله، فوجد عند الشيخ المختار ضالته.

وقد نوه به ابن عاشور في أحد طبعات شرح ديوان بشار بن برد. كما أنه كان يحفظ للمقري صاحب: نفح الطيب... ومن الصدق الجميلة زيارة الوزير المقري المغربي له بداره العامرة ببزرت سنة 1942 فاستقبله بقصيد كان مطلعها:

سَرَى نَفْحُ طَيْبِ الْعَرَبِ عَطَّرَتِ الرَّبِّيَ فَلَا تَعْجَبُوا مِنْ نَفْحِ طَيْبِ لِمُقْرِي

لقد هيأت هذه الثقافة الواسعة لهذا العلم الجليل أن يجالس فطاحلة أهل العلم والأدب بتونس وخارجها، من أمثال: محمد الخضر حسين شيخ الأزهر الشريف من سنة 1964 إلى سنة 1967 والمختار بن محمود المفتي الحنفي، وأحمد توفيق المدني، وإدريس الشريف مفتي بنزرت، والقاضي محمد الصالح الخازن، وغيرهم...



في وداع فضيلة الشيخ فاتح زقلام رحمه الله (ليبيا) (2022/1938)

بقلم الأستاذ منصف بن منصور (المغرب)

فقد فقدنا حبرا جليلا وأستاذا نبيلًا وصرحا علميا شاخا بتواضعه، ومهابا في عطفه وحنوه، ونموذجا للأدب الراقي السامق، ذلكم هو الدكتور العلامة الدراكة الفهامة ومربي الأجيال ومحمد سني الخلال سيدي فاتح زقلام رحمه الله ورضي عنه وأعلى مقامه في فرديس الجنان

العبارات لا توفيه حقه، فإني وإن كنت لا أدعي تتلمذ الملازمة اللصيقة عليه لأعوام عديدة، ومعاشرة مديدة؛ إلا أنني شرفت بحضور الكثير من مجالسه العلمية بجامع العروسي واستفدت منه حالا ومقالا فحديثه علم وسمته تربية وتصرفه حكمة وصمته عبرة

هذا وحينما سمع شيخنا العلامة الفقيه سيدي عبدالسلام البنظي وهبه الله مغفرة ورضوانا أن سيدي الدكتور فاتح زقلام عقد حلقة علمية بجامع العروسي رغبا في حضورها واغتنام فرصة الاستفادة من الدكتور وأنه من أهل العلم الراسخين القلائل الذين تشد الرحال إليهم ، حتى أنه قام باصطحابي و الشيخ محمد بن عمران مرات عديدة بسيارته وحضر معنا درسه تشجيعا لنا وانتهاضا لهمتتنا مع أنه يعتبر من أقران الدكتور وكان يحرص على مدى استفادتنا من مباحث الدرس بمناقشة وتقرير ما اعتاص وأشكل علينا أثناءه

وكذلك كان شيخنا القاضي المستشار سيدي عبدالآخر بن عليوة وهبه الله مغفرة ورضوانا يحثنا على النهل منه ويحكي لنا ثناء والده العلامة القاضي الأزهري سيدي محمد بن عليوة المدرس برواق المغاربة بالأزهر الشريف على الدكتور فاتح بأنه عالم متفنن وكان ذلك عند حضوره مناقشة الشيخ فاتح لرسالة الدكتوراة في السبعينات بالأزهر الشريف وبأنه استكمل آليات الباحث المحقق ونال هذه الدرجة العلمية عن جدارة واستحقاق وهذه شهادة عزيزة من شيخ طبقة وعلامة جليل جمع بين التدريس والقضاء وهبه الله مغفرة ورضوانا

ثم تعرفت على الشيخ عن قرب في زيارة له رفقة شيخنا سيدي عبدالمجيد الصغير وأستاذنا الفاضل الدكتور عارف النايض الذي كان بدوره حلقة الوصل وصاحب الفضل حيث رتب اللقاء الثاني في بيتهم العامر وبحضور بعض الشيوخ وطلبة العلم من طرابلس الغرب والشام فكان سيدي الشيخ فاتح زقلام ضيف الشرف ودرة المجلس إلا أنه لا يتكلم إلا أن يسأل ويحسن الإصغاء للجميع بتمعن واهتمام وأخبرنا أحد الحاضرين وأظنه أستاذنا الدكتور عبد الحميد هرامة عن معرفة الشيخ بالطب البديل فأتحفنا سيدي الدكتور بفوائد اللوبان كما كان الدكتور الصديق نصر يثري اللقاء بأسئلته وقصصه بغية استحضات قريحة الشيخ الدكتور فاتح زقلام للتعليق والإفادة، وأذكر من طلبة العلم بطرابلس الغرب الشيخ خالد بن سعيدان والفقيه الشيخ محمد المسلاقي فجزى الله أهل العلم جميعا خيرا على تلكم المجالس المشهودة التي افتقدناها نسأل الله عودها

فترسخت معرفتي به حتى شرفني بحضور درسه في بيته الذي لم يكتب له الاستمرار نتيجة للظروف العصيبة التي مرت بها البلاد لطف الله بها وبسائر بلاد المسلمين

وكذلك من المجالس التي لا تنسى زيارتي له في معية شيخنا الأستاذ حسين اليدري حفظه الله وتلميذه الشيخ فارس العالم والشيخ سفيان المرابطة وكذلك أخي الأستاذ محمد تيمور بن عليوة حيث حظينا بلقائه ليومين على التوالي فأهدى لنا بعض مؤلفاته القيمة وتحقيقاته الرصينة وأتحفنا بحديثه الذي كله فوائد

وبعد ذلك سررت أيما سرور حينما طلب مني سيدي الدكتور فاتح زقلام أن أساعده في ترتيب مكتبته الزاخرة وتنظيفها

فأمضيت بقربه أسبوعا لا ينسى من الصباح إلى المساء فكنت أسأله حتى وهو منشغل معي في التنظيف والترتيب وحينما كان يستشف من أسئلتي بحدسه الراقي طلب الفضول بالغور في سيرته الذاتية يجيب بابتسامة لطيفة تنبي عن عدم رغبته في

الحديث عن نفسه إلا جبرا لخاطر السائل لرسوخه في الخمول ونكران الذات فتجرت
وسألته عن مشربه التربوي الصوفي فقال لم يأخذ الطريقة عن أحد المشايخ لكنه لو أدرك
الشيخ العارف بالله المجدد علي سيالة لأخذ عنه فأبان عن علو همته في هذا الباب ومدى
شفافية ذوقه في هاته الرحاب

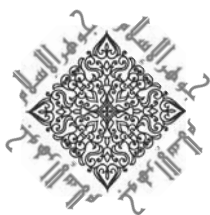
وصادف هذا الأسبوع حادثة مصادرة مكتبتي وإتلافها فكان من خيار الأفاضل الذين
واسوني في تلك الفترة العصبية التي مرت بي وما زالت تحفر الصدر فخفف عني وأعرب
لي عن عزمه بجعل مكتبته وقفا على طلبة العلم وأنه اشترى قطعة أرض بمنطقة صلاح
الدين ليني بها مؤسسة تخصص لطلبة العلم والباحثين فهي تحوي عيون الكتب
ونوادير التأليف فقد كان حريصا على جمعها منذ أيام دراسته بالأزهر الشريف وبأنه
سيجعلني مشرفا عليها ويخصص لي سكنا بها حتى يسهل علي القيام بهذه الوظيفة التي
لن تعيقني على نشاطاتي فأدركت عمق شعوره بالآخر وحرصه على نفع الجميع ومن
الفوائد التي سمعتها منه وأروىها بالمعنى

(من أراد ان يتخصص في فن من الفنون ثلاثة أو أربعة كتب في كل فن تكفيه ومن أراد
البحث والتعمق فلن تكفيه كتب المكتبات كلها)

وبعدها شرفني بمسك الختام بقبول الإشراف على رسالة الماجستير واعتماد خطة
البحث بعد أن استشرته في اختيار الموضوع فعينه لي وإن لم يكتب الله الإتمام معه وكان
آخر العهد به قبل سفري كتابة أسطر الموافقة بيده الكريمة السخية الندية جزاه الله خير
الجزاء ووهبه الله مغفرة ورضوانا وألحقه بشيوخه العلماء الربانيين الصالحين بمحض
فضله وجوده وكافة أهل العلم والفضل والخير والصلاح رحمهم الله رحمة واسعة
ورضي عنهم وجزاهم عن العلم الشريف خيرا وأعلى قدرهم بمحض فضله وجوده
بجاه الحبيب المصطفى سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه وسلم
تسليما كثيرا.

قال الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله : الداعية للإسلام ينبغي ان يكون
نسخة مصغرة من النبوة (ان الداعية للإسلام مفروض فيه وعليه ان يكون نسخة
مصغرة من النبوة في تجردها وسمتها. في عمقها وطهرها. في اخلاصها وتجردها.
في سماحتها واثيرها. في حبها للإنسان وحدها عليه ورافتها به) فالعلماء ورثة
الأنبياء(وعلماء امتي كانباء بني إسرائيل).

وكل محاولة للدعوة على غير هذا الاتجاه وبدون هذه الشروط محكوم عليها
بالفشل الذريع مسبقا.



خطبة في فضل شهر رمضان من كلام ابن عباد الرندي الفاسي الشاذلي رضي الله عنه من العهد المريني

تقديم وتحقيق الدكتور كنيث عبد الهادي هنركامب (أمريكا)

أَمَّا بَعْدُ: فبالمناسبة حلول شهر رمضان المبارك أقدم للقارئ - يَا إِخْوَانِي وَأَخَوَاتِي -
- خُطْبَةً تَارِيخِيَّةً تُعَالِجُ قُضِيَّةَ الْأَخْلَاقِ وَالسُّلُوكِ النَّبَوِيِّ وَعَلَاقَتَهُ بِالْقِيَمِ الرُّوحِيَّةِ لَدَى
الْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ عَامَّةً؛ وَعَلَاقَةَ صَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ خِلَالِ مَفَاهِيمِ هَذِهِ الْخُطْبَةِ فِي
تَرْكِيبَةِ الْإِنْسَانِ - حِسًّا وَمَعْنَى - بِقَصْدِ مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي تَأْسِيسِ أَخْلَاقِ الْإِثَارِ عَامَّةً
- ثُمَّ خَاصَّةً - بِالْإِثَارِ وَالْمَحَبَّةِ لِلَّهِ، وَلِرَسُولِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلِلْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ، كَعَلَامَةِ حَقِيقَةِ الْإِسْلَامِ، وَدَوْرَهَا الْفَعَالِ فِي تَحْقِيقِ فِطْرَةِ الْإِنْسَانِ وَمَا
يَجْعَلُهُ مُتَخَلِّقًا، وَحَسَنَ التَّعَامُلِ مَعَ النَّاسِ كَافَّةً، فِي بِنَاءِ مُجْتَمَعٍ مُتَسَبِّعٍ بِالْفَضَائِلِ
وَالْقِيَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْمُثَلَّى؛ أَوْ بَعْبَارَةِ عُلَمَاءِ الْأَنْثَرُوبُولُوجِيَا: كَيْفَ تُسْتَنْبِطُ الْمُبَادِئُ
الْأَخْلَاقِيَّةُ الْإِنْسَانِيَّةُ؟ وَكَيْفَ تُصْنَعُ الْقِيَمُ فِي الْمُجْتَمَعَاتِ الْبَشَرِيَّةِ؟

فَمِنْ خِلَالِ مَفَاهِيمِ هَذِهِ الْخُطْبَةِ فِي فَصَائِلِ شَهْرِ رَمَضَانَ يُقَدِّمُ لَنَا ابْنُ عَبَّادٍ نَظْرِيَّةً
عِلْمِيَّةً، وَمِنْهَجًا وَاضِحًا، وَحَلًّا جَذْرِيًّا لِأَزْمَةِ الْأَخْلَاقِ، الَّتِي نَعِيشُهَا الْيَوْمَ، مَبْنِيًّا عَلَى
الْأُسُسِ الْحَقِيقِيَّةِ لِلْأَخْلَاقِ، وَهُوَ رِسَالَةُ نَبِيِّ كُلِّ الْأُمَمِ وَالشُّعُوبِ، وَالْأَسْوَةِ الْحَسَنَةِ
لِلْبَشَرِ - مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إِذْ لَا أَخْلَاقَ بِدُونِ رُوحٍ وَلَا رُوحَ بِدُونِ
أَخْلَاقٍ.

وَأَسْمَحُوا لِي أَنْ أَتَنَاوَلَ - قَبْلَ أَنْ أَدْخَلَ فِي مَحَوِرِ الْخُطْبَةِ نَفْسَهَا، وَمَا تَمَثَّلَهَا مِنْ التُّرَاثِ الْأَخْلَاقِيِّ الرُّوحِيِّ الْمَغْرِبِيِّ بِمُقَارَبَةٍ بَعْضُ كَلَامِ صَاحِبِ الْخُطْبَةِ؛ فَهُوَ مِنْ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ الْمَغَارِبَةِ الَّذِينَ أَلْفَوْا فِي السُّلُوكِ وَالتَّرْبِيَةِ وَالْأَخْلَاقِ: إِنَّهُ الْوَلِيُّ الصَّالِحُ، وَالْفَقِيهَ الْمُحَدِّثَ سَيِّدِي امْحَمَّدَ ابْنَ عَبَّادِ الرُّنْدِيِّ السَّلَاوِيِّ الْفَاسِيِّ؛ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ؛ الَّذِي عَاشَ أَيَّامَ دَوْلَةِ الْمَرِينِيِّينَ فِي الْقُرْنِ الثَّامِنِ الْهَجْرِيِّ، وَكَانَ إِمَامًا وَخَطِيبًا بِجَامِعِ الْقُرَوَيْنِ فِي مَدِينَةِ فَاسَ - حَرَسَهَا اللَّهُ مِنْ كُلِّ بَأْسٍ - وَبَهَا تُوْفِيَ وَدُفِنَ سَنَةَ 792 هـ. فَهَذِهِ الْخُطْبَةُ تُعَبِّرُ مِنْ تَرَاثِ جَامِعِ الْقُرَوَيْنِ نَفْسَهُ مِنْ جِهَةٍ، وَمِنْ صَوِّمِ تَرَاثِ مَدِينَةِ فَاسَ مِنْ جِهَةٍ، حَيْثُ كَانَتْ فِي عَهْدِ ابْنِ عَبَّادٍ مَدَارَ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ وَالنَّفْثِيَّةِ وَالرُّوحِيَّةِ لِلْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَافْرِيقِيَا، وَعَنْهُ انْتَشَرَتْ هَذِهِ الْعُلُومُ انْتِشَارًا وَاسِعًا. فَعَلَاقَةُ الْخُطْبَةِ بِالْمَغْرِبِ وَالْإِفْرِقِيَّةِ وَاضِحَةٌ. وَقَدْ شَهِدَ مُعَاَصِرُو ابْنِ عَبَّادٍ أَنَّهُ كَانَ قُدُورَةً فِي سُلُوكِهِ وَآرَائِهِ مِمَّا جَعَلَهُ يَحْظَى بِالْإِحْتِرَامِ عِنْدَ الْخَاصَّةِ؛ بَلْ كَانَ مِنْ أَبْرَزِ مَنْ أَسَّسُوا لِلثَّوَابِتِ الرُّوحِيَّةِ الدِّينِيَّةِ لِلْمَمْلَكَةِ الْمَغْرِبِيَّةِ بَعْدَ انْفِصَالِهَا عَنِ الْأَنْدَلُسِ؛ وَقَدْ مَثَلَ فِي سُلُوكِهِ الْمَسْلُوكَ الْأَخْلَاقِيَّ الْمَغْرِبِيَّ الْمُعْتَدِلَ الْأَصِيلَ.

ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ اللَّمَحَةِ الْمُوجِزَةِ مِنْ حَيَاةِ الْعَلَامَةِ ابْنِ عَبَّادِ الرُّنْدِيِّ نَرْجِعُ إِلَى بَيْتِ الْقَصِيدِ وَهُوَ مَنَهِجُ خُطَابَةِ ابْنِ عَبَّادٍ مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الْخُطْبَةِ، وَتَرْكِيْزُهُ عَلَى التَّقْوِيمِ الْأَخْلَاقِيِّ الرُّوحِيِّ مَبْنِيَا عَلَى فَوَائِدِ صَوْمِ رَمَضَانَ كَأَصْلٍ فِي تَرْبِيَةِ رُوحِيَّةِ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ. وَفِي كَلَامِي عَنْ مَفَاهِيمِ خُطْبَةِ ابْنِ عَبَّادٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ أَوَدُّ أَنْ أُشِيرَ إِلَى أَنَّ خِطَابَ ابْنِ عَبَّادٍ فِي التَّقْوِيمِ السُّلُوكِيِّ لَمْ يَكُنْ مُوجَّهًا إِلَى الْمُرِيدِينَ مِنْ أَهْلِ التَّصَوُّفِ فَحَسْبُ - رَغْمَ تَعَدُّدِ الطَّرِيقِ الصُّوفِيَّةِ فِي عَهْدِهِ، حَتَّى تَكَلَّمَ ابْنُ قُنْفُذٍ فِي كِتَابِهِ أَنْسِ الْفَقِيرَ وَعِزُّ الْحَقِيرِ عَنِ الْمَغْرِبِ وَعَنْ تَعَدُّدِ الشُّيُوخِ وَالطَّرِيقِ الصُّوفِيَّةِ فِيهِ آنَذَاكَ حَيْثُ قَالَ: «هُوَ الْأَرْضُ الَّتِي تُنْبِتُ الصَّالِحِينَ كَمَا تُنْبِتُ الْكَلَالَ» - وَإِنَّمَا كَانَ خِطَابُ ابْنِ عَبَّادٍ تَوْجِيهًا عَامًّا هَدَفُهُ الْإِصْلَاحُ، فَقَدْ وَجَّهَ مُعْظَمَ رَسَائِلِهِ مَثَلًا إِلَى مَجْمُوعَةٍ مِنْ زُمَلَائِهِ مِنْ عُلَمَاءِ الْمَمْلَكَةِ: مِنْهُمْ فُقَهَاءٌ وَمُحَدِّثِينَ وَأَدَبَاءٌ وَغَيْرُهُمْ، وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ أَبُو زَكَرِيَا يَحْيَى بْنُ أَحْمَدَ السَّرَاجِ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ 803 هـ. فَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ عُلُوِّ كَعْبِ ابْنِ عَبَّادٍ فِي عِلْمِ السُّلُوكِ وَالتَّصَوُّفِ إِلَّا أَنَّهُ يُعْتَبَرُ التَّصَوُّفَ وَسِيلَةً، غَايَتُهَا تَصْحِيحُ مُعْتَقِدِ الْعَبْدِ، وَالسُّبُلَ السَّلِيمَةَ، وَالْقَوِيَمَةَ لِمُعَامَلَاتِهِ مَعَ رَبِّهِ، وَمَعَ نَفْسِهِ، وَمَعَ غَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ جَنْسِهِ. يَقُولُ ابْنُ عَبَّادٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - يُبَيِّنُ ذَلِكَ فِي الرِّسَالَةِ الْأُولَى مِنْ رَسَائِلِهِ الْكُبْرَى قَائِلًا:

«وَجُمْلَةُ التَّصَوُّفِ كَوْنُ الْعَبْدِ عَلَى حَالَةٍ تُوَافِقُ رِضَى مَوْلَاهُ عَنْهُ وَمَحَبَّتَهُ لَهُ؛ وَذَلِكَ

عَلَى قِسْمَيْنِ: عِلْمٌ وَعَمَلٌ. فَالْعِلْمُ يُسْتَفَادُ بِهِ تَصْحِيحُ عَقَائِدِ أَهْلِ الدِّينِ وَمَقَاصِدِ الْمُكَلِّفِينَ؛ وَالْعَمَلُ يُسْتَفَادُ بِهِ قِيَامُ الْعَبْدِ بِحُسْنِ الْأَدَبِ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لِتَحْقِيقِ عُبُودِيَّتِهِ لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ وَفِي كُلِّ حِينٍ. وَهَذَا هُوَ حَقِيقَةُ مَا جَاءَ بِهِ إِلَيْنَا نَبِينَا مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنَ الدِّينِ الْقَوِيمِ وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَدِينِ الْإِسْلَامِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ تَعَالَى سِوَاهُ وَلَا يَرْضَاهُ مِنَ الْأَدْيَانِ حَاشَاهُ. وَمَعْنَاهُ الْخُضُوعُ وَالْإِسْتِسْلَامُ لِنَوَازِلِ الْأَحْكَامِ، وَالْإِنْقِيَادُ وَالْإِدْعَانُ لِمُقْتَضِيَّاتِ أَوَامِرِ الْإِيمَانِ، ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَسِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ غَيْرِ حَرَجٍ فِي الصَّدْرِ وَلَا ضَيْقٍ فِي الْقَلْبِ وَلَا تَلَكُّيٍّ فِي النَّفْسِ. فَإِذَا كَانَ هَذَا مَعْنَى التَّصَوُّفِ لَمْ يُتَصَوَّرْ مِنْ أَحَدٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُهْمِلَهُ أَوْ يَسْتَعِزَّ بِغَيْرِهِ؛ فَمَنْ أَهْمَلَ النَّظَرَ فِيهِ أَوْ تَشَاغَلَ عَنْهُ بِغَيْرِهِ، فَذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ لِعَدَمِ مَعْرِفَتِهِ بِهِ؛ أَنْتَهَى كَلَامُ ابْنِ عَبَّادٍ. [من الرسالة الأولى].

فَكَمَا مَثَلَ ابْنُ عَبَّادٍ عِلْمَ السُّلُوكِ وَالتَّصَوُّفِ فِي الرِّسَائِلِ الَّتِي حَصَلَتْ عَلَى شُهْرَةٍ عَظِيمَةٍ فِي الْمَغْرِبِ وَافْرِيقِيَا بِأَنَّهُ وَسِيلَةٌ، غَايَتُهَا تَصْحِيحُ مُعْتَقَدِ الْعَبْدِ، وَهَدْيٌ إِلَى سُبُلِ السَّلَامَةِ، وَتَقْوِيمُ لِمَعَامَلَاتِهِ مَعَ رَبِّهِ، وَمَعَ نَفْسِهِ، وَمَعَ غَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ جَنَسِهِ؛ قَدْ يُمَثِّلُ لَنَا كَذَلِكَ فِي الْخُطْبَةِ عَنْ مَوْلِدِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَأَنَّ التَّحَلُّقَ الْمُثْلَى لِلْإِنْسَانِ هُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى سُلُوكِ طَرِيقِ الشُّكْرِ. فَالشُّكْرُ هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ وَالْمَقَامُ الَّذِي تَنْتَظِمُ فِيهِ سَائِرُ الْمَقَامَاتِ، وَمَنْعُ الْفُطْرَةِ وَالسَّمَاخَةِ؛ وَيُعْطَى شَيْخُنَا الْعَلَامَةُ ابْنُ عَبَّادٍ مَفْهُومًا شَرْعِيًّا جَمِيلًا لِلشُّكْرِ، انْطِلَاقًا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى حَاكِيًا عَنْ عَدُونَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: 16-17] فيقول:

«وَالشُّكْرُ هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي قَعَدَ عَلَيْهِ الْعَدُوُّ اللَّعِينُ لِيُصَدَّ عَنْهُ مَنْ بَعَثَهُ مِنَ الضَّالِّينَ، قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - مُخْبِرًا عَنْهُ ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿ثُمَّ لَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ؛ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾؛ لَمْ يَقُلْ صَابِرِينَ، وَلَا قَانِتِينَ، وَلَا زَاهِدِينَ، وَلَا مُخْبِتِينَ، وَلَا عَابِدِينَ، وَلَا مُتَوَكِّلِينَ؛ وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ مَقَامَاتِ الْأَبْرَارِ وَالْمُقَرَّبِينَ، لِعِلْمِهِ بِأَنَّ مَقَامَ الشُّكْرِ تَنْتَظِمُ فِيهِ سَائِرُ الْمَقَامَاتِ وَتَنْدَرُجُ فِيهِ الْأَحْوَالُ وَالْكَرَامَاتُ. فَانْظُرْ كَيْفَ عَرَّفَ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا الْعَدُوَّ اللَّعِينَ مِنْهُجَ الْحَقِّ وَطَرِيقَهُ، لَكِنْ حَرَمَهُ هِدَايَتَهُ وَتَوْفِيقَهُ». أَنْتَهَى كَلَامُ ابْنِ عَبَّادٍ. [الرَّسَالَةُ الثَّانِيَّةُ: 16].

أَمَّا الْخُطْبَةُ بِنَفْسِهَا فَقَدْ وَرَدَ ذِكْرُهَا فِي الْمَصَادِرِ الْقَدِيمَةِ: فَذَكَرَهَا الشَّيْخُ أَحْمَدُ زَرُّوقُ الْفَاسِي فِي شَرْحِهِ الْحَادِي عَشَرَ عَلَى حِكْمِ ابْنِ عَطَاءٍ اللَّهُ الْأَسْكَندَرِيُّ وَوَصَفَهَا

بَقَوْلِهِ: «الْخُطْبُ الْمَعْلُومَةُ فِي الْمَوَاسِمِ؛ وَالْقَصْدُ بِهَا تَنْبِيهُ مِنَ الْغَفْلَةِ وَإِفَادَةُ الْعَوَامِ، اتِّبَاعًا لِأَبِي طَالِبٍ⁽¹⁾ وَأَبِي حَامِدٍ - رَحِمَهُمَا اللَّهُ». ⁽²⁾ وَكِتَابُ خُطْبِ الْمَوَاسِمِ عِبَارَةٌ عَنْ مَجْمُوعَةِ خُطْبِ أَلْقَاهَا ابْنُ عَبَّادٍ - قَدَّسَ اللَّهُ ثَرَاهُ - حِينَ مَا كَانَ الْإِمَامُ وَالْخَطِيبُ بِمَسْجِدِ الْجَامِعِ الْقُرَوِيِّينَ بِمَدِينَةِ فَاسٍ - حَفِظَهَا اللَّهُ مِنْ كُلِّ بَأْسٍ - فِي الْعَهْدِ الْمَرِينِيِّ بَيْنَ 787 هـ / 1375 م وَ 792 هـ / 1390 م وَيَتَضَمَّنُ خُطْبَةً فِي مَوْلِدِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثُمَّ مَجْمُوعَةٍ مِنْ خُطْبٍ فِي فَضَائِلِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَشَهْرِ رَجَبِ الْفَرْدِ، وَشَهْرِ شَعْبَانَ، وَشَهْرِ رَمَضَانَ، وَلَيْلَةِ الْقَدْرِ وَتَفْسِيرِ سُورَتِهَا؛ وَأَخِيرًا خُطْبَتُهُ فِي وَدَاعِ شَهْرِ رَمَضَانَ؛ وَقَدْ صَارَتْ هَذِهِ الْخُطْبُ مَرْجَعًا هَامًا عِنْدَ عَامَّةِ خُطَبَاءِ الْجَوَامِعِ الْمَغْرِبِيَّةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ. وَقَدْ طُبِعَتْ فِي مُرَاشِ فِي الْمَمْلَكَةِ الْمَغْرِبِيَّةِ سَنَةَ 2016⁽³⁾.

أخيرا أشكر الأساتذة الفضلاء والأخوة الكرام الذين أبدوا ملاحظاتهم أو قدموا مساعدتهم لإنجاز هذه الخطب - غفر الله تعالى لهم وأجزل مثوبتهم.

وختامًا - أسأل الله العليّ القدير أن يرحم ابن عبّاد ويرزقه أعلى درجات القربة وينفع بهذه الخطب من تراثه القارئ والمحقق وجميع المحبين الصادقين لوجه الله تعالى.

كما أرجو أن تقع هذه الخطبة في يد خطيب للجمعة أو العيد فيدمجها في خطابه مع عباد الله، وبها ينفع المؤمنين والمؤمنات من كلام ابن عبّاد.

جعلني الله وإياكم ممن دُلَّ على الصراط المستقيم فسلكه، وعرف مردّهواه فقهره وملّكه؛ وصرّفنا فيما يرضاه من القول والعمل وتفضّل علينا بعفوه، فهو أكرم من تفضّل؛ إنّه سميع مجيب.

قائمة رموز المخطوطات

م = مخطوط الخزانة الملكية رقم 2688

ب = مخطوط الخزانة الملكية رقم 12945

(1) أبو طالب المكي (386/996) صاحب قوت القلوب.

(2) أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتّاني، سلوة الأنفس ومحاضرة الأكياس بمن أفر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق عبد الله الكامل الكتّاني، حمزة بن محمد الطيّب الكتّاني، محمد حمزة بن علي الكتّاني، دار الثقافة: الدار البيضاء، 2004، ج. 2، ص. 152.

(3) محمد بن إبراهيم بن عبّاد الرندي النفزي، خطب المواسم، تحقيق كنيث عبد الهادي هنركامب، مراكش: المطبعة والوراقة الوطنية، 2016.

ن = مخطوط مصطفى الناجي

ت = مخطوط دار الكتب الناصرية بتمكروت 1644

س = المخطوط الخاص للأستاذ عبد العزيز الساوي

ط = النص المحقق بتحقيق الدكتور أحمد حدادي

+ = كلمة زائدة.

- = كلمة ناقصة.

فَالآنَ يَا سَيِّدَاتِي وَسَادَتِي الْكَرَامَ، الْمُحِبُّونَ لَوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى لِلرَّسُولِ الْأَعْظَمِ، وَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَسْتَمِعُ إِلَى مَا تَرَكَ لَنَا الشُّيْخُ ابْنُ عَبَّادٍ مِنَ النَّصَائِحِ وَالْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ فِي حَقِّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَأَنْصِتُوا يَرْحَمَكُمُ اللَّهُ. أَنْصِتُوا يَرْحَمَكُمُ اللَّهُ، أَنْصِتُوا اغْفِرْ لِي وَلَكُمْ اللَّهُ:

- ومن كلام ابن عباد الرندي الفنزي - رضي الله عنه -

في فضل شهر رمضان

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَكْرَمَنَا بِالْإِسْلَامِ وَفَضَّلَنَا بِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَتَعَبَّدَنَا بِوُضْائِفِ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَالصَّيَامِ، وَأَمْتَنَ عَلَيْنَا بِالثَّوَابِ عَلَى مَا مَنَحَ مِنَ التَّيْسِيرِ لِذَلِكَ الْإِنْعَامِ⁽¹⁾، نَحْمَدُهُ وَنَشْكُرُهُ - وَحَمْدُهُ وَشُكْرُهُ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ - وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى اكْتِسَابِ أَفْضَلِ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، وَنَسْتَغْفِرُهُ لِأَوْرَارِ هِيَ عَلَى ظُهُورِنَا كَالْأَحْمَالِ الثَّقَالِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً مَنْ أَخْلَصَهَا⁽²⁾ مَقَالًا وَمُعْتَقِدًا وَاتَّخَذَهَا لِنَجَاتِهِ وَعُلُوَّ دَرَجَاتِهِ مُعْتَمِدًا⁽³⁾ وَلَمْ يَجِدْ سِوَاهَا مَلْجَأً وَلَا مِنْ دُونِهَا مُلْتَحِداً⁽⁴⁾، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَإِمَامُ الْمُرْسَلِينَ وَخَيْرُ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ⁽⁵⁾ الَّذِينَ حَمَوْهُ بَأَنْفُسِهِمْ وَوَفَّوهُ بِمُهْجِهِمْ⁽⁶⁾ وَوَفَّوهُ حَقَّ مُتَابَعَتِهِ فِي حَرَكَاتِهِمْ وَسَكَنَاتِهِمْ وَمَذَلِيلِهِمْ وَمَخْرَجِهِمْ⁽⁷⁾ صَلَاةً

(1) ب: لذلك وللأنعم؛ ن: لذلك والإنعام.

(2) ن: - من أخلصها.

(3) ن: سببا ومعتمدا.

(4) التحد: حاد عنه وعدل.

(5) ن: - صحبه.

(6) م: بمهجتهم.

(7) م: - وَوَفَّوهُ ... وَمَخْرَجِهِمْ.

تُنَجِّنَا⁽¹⁾ مِنْ سُوءِ الْقَدَرِ وَتُوَسِّسَنَا فِي ظُلُمَاتِ الْحُفْرِ وَتَجْعَلَنَا بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَكْرَمِ نَفَرٍ وَأَفْضَلِ زُمَرٍ وَسَلَّمٍ كَثِيرًا.

عِبَادَ اللَّهِ! خُذُوا فِي الْأُهْبَةِ وَالْاسْتِعْدَادِ وَالْجِدِّ فِي الطَّاعَةِ وَالْاجْتِهَادِ، فَهَذَا أَوَانُ الْاسْتِكْثَارِ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالْازْدِيَادِ وَوَقْتُ الزَّرْعِ وَسَيَنْدُمُ الْمُفْرَطُ إِذَا حَانَ حِينُ الْحِصَادِ، فَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ فَهَذَا إِبَائُهُ، وَمَنْ شَاءَ التَّجَارَةَ الرَّابِحَةَ فَهَذَا زَمَانُهُ، وَمَنْ غَرَضُهُ أَنْ يَتُوبَ وَيَحُطَّ عَنْ ظَهْرِهِ ثِقَلُ الذُّنُوبِ فَهَذَا أَوَانُهُ، وَمَنْ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَفِرَّ إِلَى رَبِّهِ مِنْ أَسْرِ هَذِهِ الدُّنْيَا فَقَدْ تَحَقَّقَ إِمْكَانُهُ.

فَيَا أَصْحَابَ الْأَعْمَارِ الْقِصَارِ وَيَا مَنْ أَثْقَلَ ظُهُورُهُمْ ارْتِكَابُ الْإِثَامِ وَالْأَوْزَارِ بَادِرُوا إِلَى التَّوْبَةِ وَالْاسْتِغْفَارِ وَدَعُوا الرُّكُونَ إِلَى التَّعَلُّلِ بِالْأَعْدَارِ⁽²⁾، وَاجْتَهِدُوا فِي أَعْمَالٍ تَنَالُوا بِهَا مَغْفِرَةَ الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ، هَذَا أَوَانُ التَّوْبَةِ فَسَمُّوا فَرَحًا بِهِ الْأَذْيَالُ. هَذَا شَهْرُ الرَّحْمَةِ فَحَقِّقُوا فِي نَيْلِهَا فِيهِ الْأَمَالَ، هَذَا مَوْسِمُ الْإِحْسَانِ لِلتَّائِبِينَ، هَذَا مَأْتَمُ⁽³⁾ الْأَحْزَانِ لِلْمُذْنِبِينَ، هَذَا مَغْنَمُ الرِّضْوَانِ لِلْعَامِلِينَ.

هَذَا شَهْرُ رَمَضَانَ قَدْ وَفَدَ إِلَيْكُمْ وَاسْتَهَلَّ بِفَضَائِلِهِ وَوَسَائِلِهِ عَلَيْكُمْ، وَأَسْبَلَ⁽⁴⁾ جَزِيلَ أَجْرِهِ وَخَيْرِهِ لَدَيْكُمْ فَاسْتَقْبِلُوا أَيُّهَا الْعَاثِرُونَ رَبِّكُمْ - عَزَّ وَجَلَّ - مِنْ عَثَرَاتِكُمْ، وَأَسْبِلُوا⁽⁵⁾ عَلَى وَجَنَاتِكُمْ دِيمَ عِبْرَاتِكُمْ وَتَلَقَّوْا عَطَايَا اللَّهِ الْكَرِيمِ بِالْقَبُولِ، وَاسْتَنْجِرُوا⁽⁶⁾ بِطَاعَةِ الْمَوْلَى الرَّحِيمِ وَفَاءِ الْمَوْعُودِ وَإِبْلَاغِ الْمَأْمُولِ، وَاعْتَنِمُوا فَضْلَ شَهْرٍ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي الشُّهُورِ مِثْلَهُ وَلَا تُوَاظِنُ فَضِيلُهُ زَمَانٍ - لَيْسَ هُوَ فِيهِ⁽⁷⁾ - فَضْلُهُ، وَسَابِقُوا فِي مِيدَانِ بَرَكَاتِهِ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ⁽⁸⁾ وَرِضْوَانٍ فِي جَمِيعِ أَوْقَاتِهِ، فَهُوَ مَضْمَارُ السَّابِقِينَ وَمَعْيَارُ إِخْلَاصِ الصَّادِقِينَ، وَمَعَارِجُ مَرَاتِبِ الْعَامِلِينَ، وَمَنَاهِجُ

(1) م: تنجنا.

(2) س: بالاعتذار.

(3) في جميع النسخ «مأتم» بالثاء وهذا لا يناسب باقي سياق العبارة، أظن أن اللفظ هنا هو «مأتم» بالثاء بمعنى: الجماعة من الناس في حزن أو فرح، وغلب استعماله في الأحران، كما قال ابن قتيبة: «والعامّة تخصّه بالمصيبة، فتقول كنا في مأتم فلان والأجود في مناحته»، المصباح المنير؛ ورجح أيضا لفظ «مأتم» الأستاذ أحمد حدادي في طبعه لهذه الخطبة، ص 16.

(4) ن: أسبغ.

(5) ن: اسفلوا.

(6) ن: واستنجوا.

(7) ن: - ليس هو فيه.

(8) اقتباس من قوله تعالى ﴿سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ...﴾ [آل عمران: 133].

مَطَالِبِ الْأَمَلِينَ، وَسُوقِ بَضَائِعِ الْعِبَادِ، وَمَوْسِمِ أَهْلِ الْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ، شَهْرُ مُبَارَكٍ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ، مُنَوَّرُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، مَعْمُورٌ بِالصِّيَامِ وَالْقِيَامِ، مُعْظَمُ الْأَوْقَاتِ وَالْآنَاءِ مُسْتَجَابٌ فِيهِ صَالِحُ الدُّعَاءِ، مُفْتَحَةٌ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ⁽¹⁾ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا⁽²⁾ بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عِتْقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ». ⁽³⁾ وَقَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». ⁽⁴⁾

وَعَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - آخِرَ يَوْمٍ مِنْ شَعْبَانَ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ أَظْلَكُكُمْ شَهْرٌ عَظِيمٌ مُبَارَكٌ شَهْرٌ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، فَرَضَ اللَّهُ صِيَامَهُ وَجَعَلَ قِيَامَهُ فِي لَيْلِهِ تَطَوُّعًا، فَمَنْ تَطَوَّعَ فِيهِ بِخَصْلَةٍ مِنَ الْخَيْرِ كَانَ كَمَنْ أَدَّى الْفَرِيضَةَ فِيمَا سِوَاهُ، وَمَنْ أَدَّى فِيهِ فَرِيضَةً كَانَ كَمَنْ أَدَّى سَبْعِينَ فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ». ⁽⁵⁾ وَهُوَ شَهْرُ الصَّبْرِ، وَالصَّبْرُ ثَوَابُهُ الْجَنَّةُ، وَهُوَ شَهْرُ الْمَوَاسِقَةِ وَشَهْرُ يُزَادُ فِيهِ⁽⁶⁾ رِزْقُ الْمُؤْمِنِ. مَنْ⁽⁷⁾ فَطَرَ فِيهِ⁽⁸⁾ صَائِمًا كَانَ لَهُ عِتْقُ رَقَبَةٍ وَمَغْفِرَةٌ لِذُنُوبِهِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ كُلُّنَا يَجِدُ مَا يُفْطَرُ بِهِ الصَّائِمُ، قَالَ: يُعْطِي اللَّهُ تَعَالَى هَذَا الثَّوَابَ مَنْ⁽⁹⁾ فَطَرَ صَائِمًا عَلَى مَذَقَةٍ⁽¹⁰⁾ كَبْنٍ أَوْ تَمْرَةٍ أَوْ شَرْبَةِ مَاءٍ، وَمَنْ أَشْبَعَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مَغْفِرَةٌ لِذُنُوبِهِ وَسَقَاهُ رَبُّهُ⁽¹¹⁾ - عَزَّ وَجَلَّ - مِنْ حَوْضِي شَرْبَةٍ

(1) م: - شهر.

(2) س: يا.

(3) رواه البيهقي في فضائل الأوقات، باب في فضل شهر رمضان، ص 36؛ والترمذي: كتاب الصوم، باب ما جاء في فضل شهر رمضان.

(4) البخاري: كتاب الإيمان، باب صوم رمضان احتساباً من الإيمان، ورواه أيضاً مسلم في صلاة المسافرين، وأبو داود في التطوع، والبيهقي في فضائل الأوقات، ص 39.

(5) م ب: - وَمَنْ أَدَّى ... سِوَاهُ.

(6) م ب: - فيه.

(7) م: فمن.

(8) س م ب: - فيه.

(9) ب ن: لمن.

(10) «المذيق: اللبن الممزوج بالماء؛ مذاق اللبن ... خلطه ... وفي حديث كعب وسلمة: «وَمَذَقَةُ كَطَرَتِ الْخَنِيفِ» الْمَذَقَةُ: الشَّرْبَةُ مِنَ اللَّبَنِ الْمَمْدُوقِ»، لسان العرب.

(11) ن: الله، كذا في رواية البيهقي في فضائل الأوقات، ص 39.

لَا يَظْمَأُ بَعْدَهَا حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَكَانَ لَهُ أَجْرُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِ شَيْءٌ⁽¹⁾، وَهُوَ شَهْرٌ أَوَّلُهُ رَحْمَةٌ وَأَوْسَطُهُ⁽²⁾ مَغْفِرَةٌ وَآخِرُهُ عِتْقٌ مِنَ النَّارِ⁽³⁾.

وَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ: «مَرْحَبًا بِمُطَهَّرٍ، مَرْحَبًا بِمُطَهَّرٍ خَيْرٌ كُلُّهُ، صِيَامُ نَهَارِهِ وَقِيَامُ لَيْلِهِ وَالنَّفَقَةُ فِيهِ كَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ»⁽⁴⁾.

وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ⁽⁵⁾ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ صَامَ شَهْرَ رَمَضَانَ فِي إِنْصَاتٍ وَسُكُوتٍ وَذِكْرِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَأَحَلَّ حَلَالَهُ وَحَرَّمَ حَرَامَهُ، وَلَمْ يَرْكَبْ فِيهِ فَاحِشَةً إِلَّا أَنْسَلَخَ⁽⁶⁾ مِنْ رَمَضَانَ يَوْمَ يَنْسَلِخَ وَقَدْ غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ كُلُّهَا، وَبَيَّنَى لَهُ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ وَتَهْلِيلَةٍ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ مِنْ زُمُرَدٍ خَضِرَاءَ فِي جَوْفِهَا يَأْقُوتَةٌ حَمْرَاءَ فِي جَوْفِ تِلْكَ الْيَأْقُوتَةِ خِيَمَةٌ مِنْ دُرٍّ مُجَوَّفَةٍ فِيهَا زَوْجَةٌ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ»⁽⁷⁾.

وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ⁽⁸⁾ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ

(1) س: شيئاً.

(2) م: ووسطه؛ ب: وواسطه.

(3) ورواه أبو الليث السمرقندي في تنبيه الغافلين، ص 251؛ والبيهقي في فضائل الأوقات، ص 38-39، وقال: «رواه غيره عن علي بن حجر»؛ وحديث سلمان هذا رواه ابن خزيمة (923/311) في صحيحه في كتاب الصيام، باب فضائل شهر رمضان، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري، صحيح ابن خزيمة، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، بيروت: المكتب الإسلامي، 1980/1400، ج 3، ص 191-192؛ وذكر هذا الحديث ابن رجب في لطائف المعارف، ص 251.

(4) رواه أبو الليث السمرقندي في تنبيه الغافلين، ص 250.

(5) س ب ن: أبي مسعود. وابن مسعود هذا، كما رجحته في المتن هو «عبد الله بن مسعود الهذلي حليف بني زهرة بن كلاب ويكنى أبا عبد الرحمن، شهد بدرًا... فقدم الكوفة ونزلها وابتنى بها داراً إلى جانب المسجد ثم قدم في خلافة عثمان بن عفان فمات بها فدفن بالبقيع سنة اثنتين وثلاثين وهو ابن بضع وستين سنة». محمد بن سعد، كتاب الطبقات الكبير، تحقيق علي محمد عمر، القاهرة: مكتبة الخانجي، 2002/1421، ج 8، ص 136.

(6) س: انسَخ.

(7) رواه أبو الليث السمرقندي في تنبيه الغافلين عن ابن مسعود، ص 251.

(8) كذا في جميع النسخ. وأبو مسعود قد ذكره الذهبي بأنه: أبو مسعود البدرى: واسمه عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة بن عسيرة الأنصاري، وقيل: يسيرة بن عسيرة - بضمهم - بن عطية بن خدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج، وكان ممن شهد بيعة العقبة. وكان شاباً من أقران جابر في السن. روى أحاديث كثيرة. وهو معدود في علماء الصحابة. نزل الكوفة. حدث عنه ولده بشير، وأوس بن ضممعج، وعلقمة، وأبو وائل، وقيس بن أبي حازم، وربيع بن حراش، وعبد الرحمن بن يزيد، وعمرو بن ميمون، والشعبي. قال الواقدي: شهد العقبة، ولم يشهد بدرًا. وقال

قَالَ - وَقَدْ دَنَا شَهْرُ رَمَضَانَ: «لَوْ يَعْلَمُ الْعِبَادُ مَا فِي رَمَضَانَ لَتَمَنَّوْا أَنْ تَكُونَ السَّنَةُ كُلُّهَا رَمَضَانَ». فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ حَدِّثْنَا بِمَا فِيهِ!» قَالَ: «إِنَّ الْجَنَّةَ لَتُزَيَّنَ لِرَمَضَانَ مِنَ الْحَوْلِ إِلَى الْحَوْلِ، فَإِذَا كَانَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنَ الشَّهْرِ هَبَّتْ رِيحٌ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ فَصَفَّقَتْ⁽¹⁾ وَرَقَ الْجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ الْحَوْرُ الْعَيْنُ إِلَى ذَلِكَ وَيَقْلُن: «يَا رَبِّ اجْعَلْ لَنَا مِنْ هَذَا الشَّهْرِ مِنْ عِبَادِكَ أَرْوَاجًا تَقَرُّ أَعْيُنُنَا بِهِمْ وَتَقَرُّ أَعْيُنُهُمْ بِنَا»؛ فَمَا مِنْ عَبْدٍ صَامَ رَمَضَانَ إِلَّا زُوجَ زَوْجَةٍ مِنَ الْحَوْرِ الْعَيْنِ فِي خِيَمَةٍ مِنْ دُرٍّ مَجُوفَةٍ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿حَوْرٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: 72]، وَعَلَى كُلِّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ سَبْعُونَ حُلَّةً لَيْسَ فِيهَا حُلَّةٌ عَلَى لَوْنٍ الْأُخْرَى، وَيُؤْتَى بِسَبْعِينَ لَوْنًا مِنَ الطَّيِّبِ؛ وَكُلَّ زَوْجَةٍ مِنْهُنَّ عَلَى سَرِيرٍ مِنْ يَاقُوتٍ أَحْمَرَ مَنْسُوجٍ بِالْدَّرِّ عَلَيْهِ سَبْعُونَ فِرَاشًا بَطَائِنُهَا مِنْ اسْتَبْرَقٍ⁽²⁾ وَلِكُلِّ امْرَأَةٍ سَبْعُونَ وَصِيفَةً⁽³⁾. هَذَا بِكُلِّ يَوْمٍ صَامَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، سِوَى مَا عَمِلَ مِنَ الْحَسَنَاتِ⁽⁴⁾.

وَرَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: «أُعْطِيَ أُمَّتِي فِي شَهْرِ رَمَضَانَ خَمْسَ خِصَالٍ لَمْ تُعْطَ⁽⁵⁾ أُمَّةٌ قَبْلَهُمْ: خُلُوفٌ فَمَ الصَّائِمِ عِنْدَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ⁽⁶⁾ - أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَتَسْتَغْفِرُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى يُفْطِرُوا، وَتُصَفَّدُ فِيهِ مَرَدَّةُ الشَّيَاطِينِ فَلَا يَخْلُصُونَ فِيهِ إِلَّا مَا كَانُوا يَخْلُصُونَ فِي

الدارقطني: جده نسيرة، بنون، فحولف. قال يحيى القطان: «مات أبو مسعود أيام قتل علي بالكوفة». وقال الواقدي: «مات بالمدينة في خلافة معاوية». انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 2، ص 493-496. وقال ابن سعد في طبقاته: «أبو مسعود الأنصاري واسمه عقبة بن عمرو من بني خديجة بن عوف بن الحارث بن الخزرج شهد ليلة العقبة وهو صغير، ولم يشهد بدرًا وشهد أحدًا، ونزل الكوفة فلما خرج علي إلى صفين استخلفه على الكوفة ثم عزله عنها فرجع أبو مسعود إلى المدينة فمات بها في آخر خلافة معاوية بن أبي سفيان». كتاب الطبقات الكبير، ج 8، ص 138.

(1) «يقال: الثوب المعلق نُصَفَّقُهُ الرِّيحُ كُلُّ مُصَفَّقٍ فَيَنْصَفِقُ» لسان العرب.
(2) إشارة إلى قوله تعالى ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ اسْتَبْرَقٍ...﴾ [الرحمن: 53].

(3) الوصيفة: الجارية، جمع: وصائف. انظر المصباح المنير.

(4) رواه أبو الليث السمرقندي في تنبيه الغافلين عن أبي مسعود، ص 252؛ والبيهقي في شعب الإيمان عن نافع بن بردة عن أبي مسعود الغفاري، ج 5، ص 240، وفي فضائل الأوقات، باب في فضل ليلة النصف من شعبان، عن نافع بن بردة عن أبي مسعود الغفاري، ص 41-42؛ ورواه الطبراني في المعجم الكبير، مسند من يُعرف بالكنى من أصحاب رسول الله، من يكتي أبا مسعود، عن نافع عن أبي مسعود الغفاري؛ وأبو نعيم في معرفة الصحابة، حرف الألف، من اسمه أنس، عن نافع عن أبي مسعود الغفاري.

(5) س: تعطها.

(6) ن: - سبْحَانَهُ.

غَيْرِهِ، وَيُزَيِّنُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - جَنَّتَهُ كُلَّ يَوْمٍ وَيَقُولُ: «يُوشِكُ عِبَادِي الصَّالِحُونَ أَنْ يُلْقُوا عَنْهُمْ الْمُوَوَّنَةَ وَالْأَدَى وَيَصِيرُونَ إِلَيْكَ»، وَإِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يَغْفِرُ لَهُمْ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ مِنْهُ؛ فَقِيلَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ؟» قَالَ: «لَا، وَلَكِنَّ الْعَامِلَ إِنَّمَا يُوفَّى أَجْرَهُ إِذَا قَضَى عَمَلَهُ»⁽¹⁾.

وَعَنْ عِبَادَةَ ابْنِ الصَّامِتِ⁽²⁾ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - قَالَ يَوْمًا - وَحَضَرَ شَهْرَ رَمَضَانَ: «أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ خَيْرٌ وَبَرَكَةٌ يُغْشِيكُمْ اللَّهُ فِيهِ بِالرَّحْمَةِ وَيَحُطُّ الْخَطَايَا وَيَسْتَجِيبُ فِيهِ الدُّعَاءَ وَيَنْظُرُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى تَنَافُسِكُمْ فِيهِ وَيُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ، فَأَرَوْا اللَّهَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ فِيهِ خَيْرًا؛ فَإِنَّ الشَّقِيَّ كُلَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ رَحْمَةَ اللَّهِ فِيهِ»⁽³⁾.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ⁽⁴⁾ - أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: «إِنَّ الْجَنَّةَ لَتَنْجَدُ⁽⁵⁾ مِنَ الْحَوْلِ إِلَى الْحَوْلِ لِدُخُولِ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَإِذَا كَانَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ هَبَّتْ رِيحٌ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ - يُقَالُ لَهَا الْمُثِيرَةُ⁽⁶⁾ - فَتُصَفِّقُ وَرَقَ أَشْجَارِ الْجَنَّةِ وَحَلَقَ الْمَصَارِيحَ فَيَسْمَعُ لَذَلِكَ طَنِينَ لَمْ يَسْمَعْ السَّامِعُونَ أَحْسَنَ مِنْهُ فَتَتَزَيَّنُّ⁽⁷⁾ الْحُورُ الْعِينُ حَتَّى يَقْمَنَ بَيْنَ شُرَفِ الْجَنَّةِ فَيُنَادِينَ: هَلْ مِنْ خَاطِبٍ إِلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فَيُزَوِّجُهُ مِنَّا؛ ثُمَّ يَقْلَنَ: يَارِضُونَ مَا هَذِهِ اللَّيْلَةُ؟ فَيُجِيبُهُنَّ بِالتَّلْبِيَةِ فَيَقُولُ: يَا خَيْرَاتٍ حَسَنًا هَذِهِ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَيَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ: يَا

(1) رواه أبو الليث السمرقندي في تنبيه الغافلين، ص 250؛ والبيهقي في فضائل الأوقات عن أبي هريرة، ص 37؛ وجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (1200 / 597) في الطبقة الثانية من تصنيفه، التبصرة في الوعظ، الطبقة الثانية التي فيها مجالس تشمل على فضائل أيام السنة وليالها، ضمن مجلس السادس: الاستفتاح شهر رمضان، ابن الجوزي، التبصرة في الوعظ، تحقيق مصطفى عبد الواحد، بيروت: دار الكتب العلمية، 1413 / 1993، ج 2، ص 76-77.

(2) عبادة ابن الصامت: «الإمام القدوة أبو الوليد الأنصاري أحد النبلاء ليلة العقبة ومن أعيان البدرين ... وقال يحيى بن بكير وجماعة مات سنة أربع وثلاثين». الذهبي، سير الأعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ج 2، ص 5-11.

(3) أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي (947 / 335)، المسند، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، المدينة: مكتبة العلوم والحكم، 1414 / 1993، ج 3، ص 150.

(4) س: عنهما.

(5) ن: لتجدد؛ ب: - إن الجنة. «وقيل: ما يُنَجَّدُ به البيت من المتاع أي يُزَيَّن» لسان العرب.

(6) المثيرة: ثار الغبار، يثور، بمعنى هاج، المصباح المنير.

(7) م ب: يتزين.

رِضْوَانُ افْتَحَ أَبْوَابَ الْجَنَانِ لِلصَّائِمِينَ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَا مَالِكُ أَغْلَقْ أَبْوَابَ الْجَحِيمِ عَنِ الصَّائِمِينَ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَا جَبْرِيلُ اهْبِطْ إِلَى الْأَرْضِ وَصَفِّ مَرَدَّةَ الشَّيَاطِينِ وَعَلِّمْهُمْ بِأَغْلَالِ ثُمَّ أَقْذِفْ بِهِمْ فِي لُجَجِ الْبَحَارِ⁽¹⁾ كَيْ لَا يُفْسِدُوا عَلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ حَبِيبِي صَيَامُهُمْ. وَيَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأَعْطِيهِ سُؤْلَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ مَنْ يَقْرُضُ الْمَلِيَّ⁽²⁾ غَيْرَ الْعَدِيمِ⁽³⁾، الْوَفِيِّ غَيْرِ الظُّلُمِ⁽⁴⁾؟ وَلِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي كُلِّ يَوْمٍ⁽⁵⁾ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ عِنْدَ الْإِفْطَارِ أَلْفُ أَلْفٍ عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ، كُلُّهُمْ قَدْ اسْتَوْجَبُوا الْعَذَابَ⁽⁶⁾، فَإِذَا كَانَ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ أَعْتَقَ بِقَدْرِ مَا أَعْتَقَ مِنْ أَوَّلِ الشَّهْرِ إِلَى آخِرِهِ، فَإِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ يَأْمُرُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - جَبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَيَهْبِطُ فِي كَبْكَبَةٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَى الْأَرْضِ وَمَعَهُ لَوَاءٌ أَخْضَرُ فَيَرْكُزُهُ عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ وَلَهُ سِتْمَائَةٌ جَنَاحُ مِنْهَا جَنَاحَانِ لَا يَنْشُرُهُمَا إِلَّا فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ فَيَنْشُرُهُمَا⁽⁷⁾ تِلْكَ اللَّيْلَةُ فَيَجَاوِزَانِ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ، فَيَبِثُ جَبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - الْمَلَائِكَةَ - عَلَى جَمِيعِهِمُ السَّلَامُ - فَيَسَلُّمُونَ عَلَى كُلِّ قَائِمٍ وَقَاعِدٍ وَمُصَلٍّ وَذَاكِرٍ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَيُصَافِحُونَهُمْ وَيُؤْمِنُونَ عَلَى

(1) ب: لجاج البحر.

(2) كذا في جميع النسخ، والمَلِيَّ: من ملاه الله عمره، وأطاله ومَتَّعَ به، انظر القاموس المحيط، ونقل المبرد عن أعرابي: «وهو الذي يقول - جل ثناؤه: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾» [البقرة: 245] مَلِيٌّ وَفِي مَاجِدٍ وَاجِدٌ جَوَادٌ...»، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق عبد الحميد هنداوي، الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، 1419/1998، ج 1، ص 414. وفي روايات أخرى لهذا الحديث «المَلِيَّ» وفي أخرى «المَلَأَ» المهموز، «ورَجُلٌ مَلِيٌّ» مهموز أيضا على فَعِيلٍ غَنِيٍّ مُقْتَدِرٌ ويجوز البدل والإدغام المصباح المنير.

(3) «والعديم الفقير الذي لا مال له وجمعه عَدَمَاءُ وفي الحديث: «من يقرض غير عديم ولا ظلوم»، العديم الذي لا شيء عنده فَعِيلٌ بمعنى فَاعِلٍ. «لسان العرب». «وقال أهل اللغة يقال أعدم الرجل إذا افتقر فهو معدوم وعديم وعدوم» شرح النووي على مسلم (حديث لرقم 758).

(4) م: المظلوم، كذا فضائل الأوقات؛ تطابق نسختا «ب» و«ن» رواية أبي الليث في تنبيه الغافلين وجميع الرويات الأخرى، كما سيأتي ذكرها. وروى مسلم جزء من هذا الحديث عن أبي هريرة بلفظ: «مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ عَدِيمٍ وَلَا ظُلُمٍ»، كتاب صلاة المسافرين وقصدها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة.

(5) م: ليلة.

(6) م: - العذاب.

(7) ن: + في.

دُعَائِهِمْ حَتَّىٰ يَطْلُعَ الْفَجْرُ؛ فَإِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ نَادَىٰ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا مَعْشَرَ الْمَلَائِكَةِ، الرَّحِيلُ! الرَّحِيلُ! ⁽¹⁾ فَيَقُولُونَ: يَا جِبْرِيلُ مَا صَنَعَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي حَوَائِجِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - نَظَرَ إِلَيْهِمْ وَعَفَا عَنْهُمْ وَغَفَرَ لَهُمْ إِلَّا أَرْبَعَةً، فَقَالُوا: وَمَنْ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةُ؟ قَالَ: مُدْمِنْ خَمْرٍ، وَعَاقُ لَوْلَايَدِيهِ، وَقَاطِعُ رَحِمٍ، وَمُشَاحِنٌ، قِيلَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْمُشَاحِنُ؟» قَالَ: «الْمُصَارِمُ الَّذِي لَا يُكَلِّمُ أَخَاهُ. فَإِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ الْفِطْرِ - سُمِّيَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ لَيْلَةَ الْجَائِزَةِ - فَإِذَا كَانَتْ غَدَاةُ الْفِطْرِ يَبْعَثُ ⁽²⁾ اللَّهُ تَعَالَى الْمَلَائِكَةَ فِي كُلِّ الْبِلَادِ فَيَهْبِطُونَ إِلَى الْأَرْضِ فَيَقُومُونَ عَلَى أَفْوَاهِ السَّكَّ ⁽³⁾ فَيَنَادُونَ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ جَمِيعُ الْخَلْقِ إِلَّا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ، فَيَقُولُونَ: يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ اخْرُجُوا إِلَى رَبِّكُمْ يُعْطِي الْجَزِيلَ وَيَغْفِرُ الْعَظِيمَ؛ فَإِذَا بَرَزُوا فِي مُصَلَّاهُمْ يَقُولُ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لِلْمَلَائِكَةِ: مَا جَزَاءُ الْأَجِيرِ إِذَا ⁽⁴⁾ عَمِلَ عَمَلَهُ؟ فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: إِلَهَنَا وَسَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا! جَزَاؤُهُ تَوْفِيهِ أَجْرُهُ؛ فَيَقُولُ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَشْهَدُكُمْ يَا مَلَائِكَتِي أَنِّي قَدْ ⁽⁵⁾ جَعَلْتُ ثَوَابَهُمْ مِنْ صِيَامِهِمْ ⁽⁶⁾ شَهْرَ رَمَضَانَ وَفِيَامِهِمْ ⁽⁷⁾ رِضَائِي وَمَغْفِرَتِي. وَيَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ: يَا عِبَادِي سَلُونِي! فَوْعَزَّتِي وَجَلَالِي لَا تَسْأَلُونِي الْيَوْمَ شَيْئًا لِدِينِكُمْ وَدُنْيَاكُمْ إِلَّا أُعْطِيَتْكُمْ، وَعَزَّتِي لَا أَسْتُرَنَّ عَلَيْكُمْ عَثَرَاتِكُمْ مَا رَاقَبْتُمُونِي، وَلَا أَخْزِيَكُمْ وَلَا أَفْضَحْكُمْ ⁽⁸⁾ بَيْنَ أَصْحَابِ الْحُدُودِ، انصَرِفُوا مَغْفُورًا لَكُمْ، قَدْ أَرْضَيْتُمُونِي وَرَضِيتُ عَنْكُمْ». ⁽⁹⁾

فَإَيُّ فَضَائِلَ - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ الْفَضَائِلِ، وَأَيُّ شَهْرٍ يُمَاتِلُ شَهْرَكُمْ هَذَا فِي فَرَائِضَ وَنَوَافِلَ. وَعَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّهُ لَا تَحْصُلُ فَضِيلَةٌ ⁽¹⁰⁾ هَذَا الشَّهْرِ الْمُفْضَلِ عَلَى مَا سِوَاهُ مِنَ الشُّهُورِ الْمَاحِي بِإِخْلَاصِ الْعَمَلِ فِيهِ مَا سَلَفَ مِنَ الْفُجُورِ

(1) ن ب: - الرحيل. وفي رواية التبصرة وفضائل الأوقات «الرحيل الرحيل» أيضا.

(2) ب ن: بعث.

(3) السَّكَّ: «الزقاق»، و«السَّكَّةُ» الطريق المصطفة من النَّخْل «المصباح المنير.

(4) ب: + استوفى.

(5) م ن: - قد.

(6) ب: صيام.

(7) س: ليله.

(8) م: وَلَا أَخْزَيْنَكُمْ وَلَا أَفْضَحَكُمْ.

(9) رواه أبو الليث السمرقندي في تنبيه الغافلين، ص 248-249؛ والبيهقي في فضائل الأوقات،

ص 64-65؛ وابن الجوزي في التبصرة، ج 2، ص 69-71، وفي التبصرة زيادة: «قال فتفرح

الملائكة وتستبشرون بما يُعْطِي اللَّهُ - عز وجل - هذه الأمة إذا أفطروا».

(10) ب: + فريضة.

إِلَّا لِمَنْ تَلَقَّاهُ بِتَعْظِيمٍ وَحُرْمَةٍ، وَطَيْبِ طُعْمَةٍ⁽¹⁾ وَغَلٍّ فِيهِ عَنِ الْمَعَاصِي جَمِيعِ جَوَارِحِهِ وَنَقَى مِنْ أَذْنَانِ الْعِلِّ وَالْحَسَدِ وَالْبَغْيِ مَا تَحْتَ جَوَانِحِهِ وَطَهَّرَ سِرَّهُ، وَأَخْلَصَ بَرَّهُ وَكَفَّ عَنِ الْخَلْقِ شَرَّهُ⁽²⁾ وَسَجَنَ لِسَانَهُ تَحْتَ أَطْبَاقِ شَفْتَيْهِ حِفْظًا لِمَا تَكْتُبُهُ الْحَفَظَةُ عَلَيْهِ.

فَاسْلُكُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - فِي صِيَامِهِ مَسْلَكَ الْعَفَافِ وَتَمَسَّكُوا مِنْ⁽³⁾ ذَلِكَ بِمَا تَمَسَّكَ بِهِ⁽⁴⁾ صَالِحُ الْأَسْلَافِ. وَتَحَرَّوْا الْفِطْرَ مِنْ صِيَامِكُمْ عَلَى طَيْبِ الْمَالِ، وَاحْفَظُوهُ مِنْ قَيْحِ الْقِيلِ وَالْقَالِ. فَلَيْسَ الصَّوْمُ مُجَرَّدَ الْإِمْسَاكِ عَنِ الشَّرَابِ وَالطَّعَامِ، بَلْ صَوْمُ الْجَوَارِحِ عَنِ الْأَثَامِ، وَآكِدْهَا صَوْمُ اللِّسَانِ عَنِ قَيْحِ الْكَلَامِ.

خَرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ مِنْ⁽⁵⁾ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»⁽⁶⁾. وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ: كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمُ⁽⁷⁾ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي⁽⁸⁾ بِهِ؛ وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ فَلَا يَزِفْتُ يَوْمِيذٍ وَلَا يَصْحَبُ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ، يَفْرَحُهُمَا، إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ»⁽⁹⁾.

فَقَوْلُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ» قَالَ بَعْضُ

(1) طُعْم: الطعام، «وقال - عليه الصلاة والسلام - في زمزم: «إنها طعام طُعْم» بالضم أي يشبع منه الإنسان، و«الطُعْم» بالضم الطعام، قال: «وَأَوْثَرُ غَيْرِي مِنْ عِيَالِكَ بِالطُعْمِ» المصباح المنير.

(2) ب: - وأخلص ... شره.

(3) ن: ب.

(4) س م ب: - به.

(5) ن: عن.

(6) البخاري: كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم؛ البيهقي في فضائل الأوقات، ص 46.

(7) ب: ن: الصيام.

(8) س: أجزي.

(9) البخاري: كتاب الصوم، باب: هل يقول إني صائم إذا شتم؛ ومسلم: كتاب الصوم، باب: فضل الصيام؛ البيهقي في فضائل الأوقات، ص 46.

الْعُلَمَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كُلُّ مَا نِيلَ عَنِ الْحَقِّ مِنْ قَوْلٍ أَوْ⁽¹⁾ عَمَلٍ فَهُوَ زُورٌ.⁽²⁾ وَقَوْلُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «الصَّوْمُ جُنَّةٌ» أَرَادَ بِهِ جُنَّةً مِنَ الْمَعَاصِي وَالسَّفَةِ عَلَى النَّاسِ وَالْغِيبةِ وَالْكَذِبِ، هَذَا فِي الدُّنْيَا؛ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ، فَلَا يَكُونُ لِلنَّارِ سَبِيلٌ عَلَى شَيْءٍ مِنْ بَدَنِ الصَّائِمِ، كَمَا لَا سَبِيلَ لَهَا عَلَى مَوَاضِعِ الْوُضُوءِ وَالسُّجُودِ. وَقَوْلُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «فَلَا يَرْفُثُ» الرَّفْثُ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ لِكُلِّ مَا كَانَ مِنْ جِهَةِ النِّسَاءِ، كَالْمَلَامَةِ وَالْقُبْلَةِ وَالنَّظَرِ لِلشَّهْوَةِ وَالْجَمَاعِ. وَقَوْلُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «فَإِنْ سَابَتْ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَتْهُ فَلْيَقْتُلْ إِنِّي صَائِمٌ» يَعْنِي إِنْ جَهِلَ عَلَى أَحَدِكُمْ جَاهِلٌ وَهُوَ صَائِمٌ فَلْيَقْتُلْ: «إِنِّي صَائِمٌ» - أَيُّ لَا يَجْهَلُ كَجَهْلِهِ، وَلْيَقْتُلْ لِنَفْسِهِ إِنْ طَالَبَتْهُ بِمُجَاوَبَتِهِ أَوْ مُرَاجَعَتِهِ «إِنِّي صَائِمٌ»؛ وَلَا يَنْبَغِي لِلصَّائِمِ أَنْ يَجْهَلَ؛ وَلَوْ كَانَ الصَّوْمُ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ خَاصَّةً لَمْ يَكُنْ لِقَوْلِهِ «إِنِّي صَائِمٌ» مَعْنَى مُعْتَبَرٌ.

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا صُمْتَ فَلْيَصُمْ سَمْعَكَ وَبَصْرَكَ وَلِسَانُكَ عَنِ الْكَذِبِ وَالْمَآثِمِ، وَدَعْ أَذَى الْخَادِمِ، وَلْيَكُنْ عَلَيْكَ سَكِينَةٌ وَوَقَارٌ يَوْمَ صِيَامِكَ وَلَا تَجْعَلْ يَوْمَ فِطْرِكَ وَيَوْمَ صَوْمِكَ سَوَاءً».⁽³⁾

وَرُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: «رَبُّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ».⁽⁴⁾ وَقَالَ ابْنُ وَضَّاحٍ⁽⁵⁾ - رَحِمَهُ اللَّهُ: «سَمِعْنَا أَنَّهُ لَيْسَ

(1) ن: و.

(2) قال القرطبي (1272 / 671) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: 30]: «والزور: الباطل والكذب. وسمي زوراً لأنه أميل عن الحق؛ ومنه ﴿تَرَاوَرُّ عَنْ كَهْفِهِمْ﴾ [الكهف: 17]، ومدينة زوراء؛ أي مائلة. وكل ما عدا الحق فهو كذب وباطل وزور. وفي الخبر أنه - عليه السلام - قام خطيباً فقال: «عُدلت شهادة الزور بالشرك بالله». أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1427 / 2006، ج 14، ص 386.

(3) البيهقي في فضائل الأوقات، ص 48.

(4) رواه ابن ماجه عن أبي هريرة على طريق عبد بن المبارك، ابن ماجه، كتاب الصيام، باب ما جاء في الغيبة والرفث للصائم؛ والبيهقي في فضائل الأوقات، ص 47.

(5) أبو عبد الله محمد بن وضاح بن بزيع مولى عبد الرحمن بن معاوية القرطبي (899 / 286). ذكره ابن فرحون في الديباج فقال: «محمد بن وضاح بن بزيع مولى عبد الرحمن بن معاوية قرطبي، يكنى أبا عبد الله - بزيع: جده مولى عبد الرحمن بن معاوية - روى بالأندلس عن محمد بن عيسى الأعشى، ومحمد بن خالد الأشج، ويحيى بن يحيى، وسعيد بن حسان، وزونان، وابن حبيب، وعبد الأعلى بن وهب، ورحل إلى المشرق رحلتين: إحداهما سنة ثمان عشرة ومائتين. وقال ابن مخلد: «لقي بها سعيد بن منصور، وآدم بن إياس، وابن حنبل، وابن معين، وابن المديني، وعبد الله بن ذكوان، وأبا خيثمة، وابن مصفى، وكاتب الليث وغيرهم. ولم يكن مذهبه في رحلته هذه

الصَّيَّامُ بَتَرَكَ الطَّعَامَ فَقَطُّ وَلَكِنَّ الصَّيَّامَ أَنْ تَصُومَ جَوَارِحُ كُلِّهَا، وَلَا يَكُونَ يَوْمُ صَوْمِهِ وَيَوْمُ فِطْرِهِ وَاحِدًا وَيَكْفُ عَنْ أَدَى الْخَادِمِ فَإِنَّهُ كُلُّ مَا كَانَ مِنْهُ مِنْ لَفْظَةٍ مَكْرُوهَةٍ أَوْ نَظَرَةٍ أَوْ مَشْيَةٍ فَإِنَّهُ نَقَصٌ مِنْ صَوْمِهِ».

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْغِيَّةُ تَخْرُقُ الصَّوْمَ»؛⁽¹⁾ «وَتَنْقُضُ الْوُضُوءَ»؛⁽²⁾ «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ أَعْمِدَ إِلَى كُوزٍ مِنْ مَاءٍ بَارِدٍ فَأَشْرِبُهُ فِي رَمَضَانَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَغْتَابَ مُسْلِمًا».⁽³⁾

طلب الحديث، وإنما كان شأنه لزهده ولقاء العباد، فلو سمع في رحلته لكان أرفع أهل وقته إسناداً ... وكان إماماً ثبُتاً، عالماً بالحديث، بصيراً به، متكلماً على علله، كثير الحكايات عن العباد، ورعاً فقيراً، زاهداً، متعقفاً، صابراً على الإسماع، محتسباً في نشر علمه. سمع الناس منه كثيراً، ونفع الله به أهل الأندلس. قال أحمد بن سعيد: «لم يختلف علينا أحدٌ من شيوخنا أن ابن وضاح كان معلم أهل الأندلس العلم والزهد» ... وتوفي ابن وضاح في المحرم سنة سبع وقليل في ذي الحجة سنة ست وثمانين ومائتين، وولد سنة تسع وتسعين ومائة وقليل سنة مائتين. برهان الدين، إبراهيم بن علي بن محمد ابن فرحون اليعمري (1396/799)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق محمد الأحمدى أبي النور، القاهرة: دار التراث للطبع والنشر، بدون تاريخ، ج 2، ص 179-181؛ وفي شجرة النور الزكية: «وروى القراءات عن عبد الصمد بن القاسم عن ورش ومن وقته اعتمد أهل الأندلس على رواية ورش وعنه أخذ جماعة لا يحصون ... ألف ابن مفرج كتاباً في مناقبه. تأليفه كثرة منها: كتاب العباد والعوابد، ورسالة السنة، وكتاب الصلاة في النعلين، وكتاب النظر إلى الله تعالى». محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج 1، ص 113-114.

(1) رواه البيهقي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «الغيبة تخرق الصوم والاستغفار يرقعه فمن استطاع منكم أن يجيء غدا بصومه مرقعاً فليفعل». البيهقي، شعب الإيمان، ج 5، ص 246. (2) لم أجد مثل هذا مروى عن أبي هريرة ولكن رواه الربيع بن حبيب (175-180/791-796) في مسنده عن شيخه أبي عبيدة التميمي عن جابر بن زيد الأزدي عن ابن عباس عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «الغيبة تُفْطِرُ الصَّائِمَ وَتَنْقُضُ الْوُضُوءَ». الربيع بن حبيب، «الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع»، في كتاب الترتيب في الصحيح من حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم، جمع وترتيب أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني (570/1174-1175)، تصحيح نور الدين عبد الله بن حميد السالمي، مسقط: مكتبة مسقط، 1424/2003، ص 67. الربيع بن حبيب هذا كان ثالث أئمة العلم عند الإباضية الخارجية، ويعتبر كتاب الترتيب من أصح كتب الحديث عندهم؛ ولهذا لا أظن بأن ابن عباد أخذ عن هذا المصدر بعينه لقلة الاعتماد به عند أهل السنة، ولكن لم أجد هذه الرواية بعد بحث طويل في مصدر آخر، والله أعلم.

(3) «أبو هريرة: لئن أقوم إلى كوز ماء فأشربه في رمضان أحب إليّ من أن اغتاب مسلماً». أبو القاسم محمود بن عمر الزمشري، كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق عبد الأمير مهنا، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1412/1992، ج 2، ص 336.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ⁽¹⁾ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِثْنَانِ يُفْطَرَانِ الصَّائِمَ، الْغِيْبَةُ وَالْكَذِبُ». وَقَالَ مُجَاهِدٌ⁽²⁾ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خَصْلَتَانِ مَنْ حَفِظَهُمَا فَقَدْ تَمَّ صَوْمُهُ: الْغِيْبَةُ وَالْكَذِبُ».⁽³⁾ وَكَانَ⁽⁴⁾ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ⁽⁵⁾ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ فِي رَمَضَانَ: «عَلَى كُلِّ جَارِحَةٍ حَظُّهَا مِنَ الصَّيَامِ، فَعَلَى الْيَدَيْنِ حَظُّهُمَا وَعَلَى الْعَيْنَيْنِ حَظُّهُمَا وَعَلَى اللِّسَانِ حَظُّهُ وَعَلَى الْأُذُنَيْنِ حَظُّهُمَا وَعَلَى كُلِّ جَارِحَةٍ حَظُّهَا». وَمَعْنَى مَا ذَكَرَهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ يَصُومَ الْعَبْدُ لِسَانَهُ عَنِ الْكَذِبِ وَالْغِيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَعَنْ سَائِرِ الْأَقْوَالِ⁽⁶⁾ الدَّمِيمَةِ، وَعَيْنَيْهِ عَنِ النَّظَرِ إِلَى مَا لَا يَجِلُّ، وَأُذُنَيْهِ عَنْ سَمَاعِ مَا يَقْدَحُ سَمَاعُهُ⁽⁷⁾ فِي الدِّينِ وَيُخِلُّ، وَيَدْيَيْهِ عَنِ الْاِمْتِدَادِ إِلَى الْحَرَامِ⁽⁸⁾ وَالْغُصُوبِ، وَرِجْلَيْهِ

(1) قال الذهبي: «الإمام الحافظ فقيه العراق، أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن ذهل بن سعد بن مالك بن [النخع] النخعي (96/715) اليماني ثم الكوفي، أحد الأعلام، وهو ابن مليكة أخت الأسود بن يزيد. روى عن خاله، ومسروق، وعلقمة بن قيس، وعبيدة السلماني، وأبي زرعة البجلي، وخيشمة بن عبد الرحمن، والربيع بن خثيم، وأبي الشعثاء المحاربي، وسهم بن منجاب، وسويد بن غفلة، والقاضي شريح، وشريح بن أرتاة، وأبي معمر عبد الله بن سخبرة، وعبيد بن نضيلة، وعمارة بن عمير، وأبي عبيدة بن عبد الله، وأبي عبد الرحمن السلمي، وخاله عبد الرحمن بن يزيد، وهمام بن الحارث، وخلق سواهم من كبار التابعين. وقد دخل على أم المؤمنين عائشة وهو صبي، ولم يثبت له منها سماع، على أن روايته عنها في كتب أبي داود والنسائي والقزويني، فأهل الصنعة يعدون ذلك غير متصل مع عددهم كلهم لإبراهيم في التابعين، ولكنه ليس من كبارهم، وكان بصيرا بعلم ابن مسعود، واسع الرواية، فقيه النفس، كبير الشأن، كثير المحاسن، رحمه الله تعالى». الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 520-529.

(2) هو أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي، الأسود (104/722) مولى السائب بن أبي السائب المخزومي الإمام، شيخ القراء والمفسرين، روى عن ابن عباس، فأكثر وأطاب، وعنه أخذ القرآن، والتفسير، والفقه، وعن أبي هريرة، وعائشة، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمرو، وابن عمر، ورافع بن خديج، وأم كرز، وجابر بن عبد الله، وأبي سعيد الخدري، وأم هانئ، وأسيد بن ظهير، وعدة. تلا عليه جماعة: منهم ابن كثير الداري، وأبو عمرو بن العلاء، وابن محيصن. وحدث عنه خلق كثير. قال الأنصاري: حدثنا الفضل بن ميمون: «سمعت مجاهدا يقول: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة». الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 449-457.

(3) البيهقي في فضائل الأوقات، ص 49.

(4) ن: وقال مجاهد كان.

(5) عمر بن عبد العزيز (101/720): هو ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب «الخليفة الصالح أبو حفص خامس الخلفاء الراشدين ... روى عمر بن عبد العزيز عن أبيه وأنس وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب ... روي عنه الزهري». جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تاريخ الخلفاء، بيروت: دار ابن حزم، 1424/2003، ص 182. ودام ملكه من سنة 99/717 إلى 101/720.

(6) ب ن: الأقاويل.

(7) «سماعه» بالرفع كما ورد في «م» و«ن».

(8) ن: المحارم.

عَنِ السَّعْيِ فِي اكْتِسَابِ الْأَثَامِ وَالذُّنُوبِ، وَفَرَجُهُ عَنِ الزَّيِّ وَمَا يُشَبِّهُهُ، وَبَطْنُهُ عَنِ التَّعْذِي بِمَا يَحْرُمُهُ الشَّرْعُ أَوْ يُكْرَهُهُ، فَهَذَا هُوَ الصَّائِمُ تَحْقِيقًا مِنْ غَيْرِ شَكٍّ، الَّذِي أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّ خُلُوفَ فَمِهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ. (1)

وَرَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ عِنْدَ كُلِّ فِطْرٍ عَتَقَاءَ مِنَ النَّارِ إِلَّا مَنْ أَفْطَرَ عَلَى مُسْكِرٍ أَوْ حَرَامٍ». (2) وَيُرْوَى: «أَنَّ نَفَرًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالُوا لِشُعْيَاءَ (3) النَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا بَالُنَا صَلَّيْنَا فَلَمْ تُنَوِّرْ صَلَاتُنَا، وَزَكَّيْنَا فَلَمْ تُزَكِّ زَكَوَاتُنَا؟»، وَصُمْنَا فَلَمْ يُتَقَبَّلْ صَوْمُنَا؟» فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى شُعْيَاءَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ: «سَلِّمُوا لِمِ ذَلِكْ؟ أَلَا أَنْ ذَاتَ يَدَيَّ قَلَّتْ؟ كَيْفَ؟ وَبِيَدَيَّ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، أَنْفَقْتُ كَيْفَ أَشَاءُ؟ أَمْ لِأَنَّ رَحْمَتِي ضَاقَتْ؟ كَيْفَ؟ وَإِنَّمَا يَتَرَا حِمَّ الْمُتَرَا حِمُونَ بِفَضْلِ رَحْمَتِي؛ أَمْ لِأَنَّ الْبُخْلَ يَعْتَرِينِي؟ أَوْ لَسْتُ أَجُودَ مَنْ سُئِلَ وَأَكْرَمَ مَنْ أُعْطِيَ؟ كَيْفَ أَنْوِّرَ صَلَاتَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ صَاعِيَةً إِلَى الَّذِينَ يُحَارِبُونَنِي وَيَسْتَحِلُّونَ مَحَارِمِي؟ أَمْ كَيْفَ أَتَقَبَّلُ صِيَامَهُمْ وَهُمْ يَتَقَوَّوْنَ عَلَيْهِ بِالْأَطْعِمَةِ الْحَرَامِ؟ أَمْ كَيْفَ أَرْكِي نَفَقَاتِهِمْ وَهُمْ يَعْصِبُونَ عَلَيْهَا النَّاسَ؟ وَإِنَّمَا أَجْرُ عَلَيْهَا الْمُعْتَصِينَ». (5)

(1) إشارة إلى الحديث الذي سبق ذكره في هذه الخطبة.

(2) لم أجده بهذا اللفظ فيما لدي من المراجع إلا ما رواه أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني في فروع الكافي وهو مجموعة حديثة هامة عند الإمامية ورفع الكليني الحديث إلى أحد أئمتهم الإثنا عشر أبو عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم، انظر: محمد بن يعقوب الكليني (941/329)، فروع الكافي، بيروت: منشورات الفجر، 2007/1428، ج 4، ص 44؛ ومحدثوا أهل السنة رووا الطرف الأول من الحديث كما رواه ابن ماجة عن ابن جابر - رضي الله عنه: «إِنَّ لِلَّهِ عِنْدَ كُلِّ فِطْرٍ عَتَقَاءَ وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ»، ابن ماجة، كتاب الصيام، باب ما جاء في فضل شهر رمضان.

(3) م: شعيب. قال الطبري أن شعياً بن أمصياً كان نبياً في بني إسرائيل عند زمان هجوم سنحارب على بيت المقدس، انظر: محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف بمصر، 1967/1387، ج 1، ص 532. واسمه في أسفار أهل الكتاب «اشعياً بن أموص» (انجليزية: Isaiah / فرانسوية: Isaïe / لاتينية: Isaias).

(4) ب ن: زكاتنا.

(5) جزء من قصة شعياً النبي - عليه السلام - الطويل رواه الطبري في تفسيره، باختلاف في اللفظ، في تفسير سورة الإسراء، القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتَنفَسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾، [الإسراء: 4] حيث قال: «حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق...»، انظر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، جيزة: دار هجر، 2001/1422، ج 14، ص 463-468؛ وروى مثله مختصراً أبو بكر أحمد بن

وَخَرَجَ أَبُو بَكْرُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ⁽¹⁾ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَكْسِبُ عَبْدٌ مَالًا حَرَامًا فَيَبَارِكُ لَهُ فِيهِ، وَلَا يَتَصَدَّقُ بِهِ فَيَقْبَلُ مِنْهُ، وَلَا يَتْرُكُهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ إِلَّا كَانَ زَادَهُ إِلَى النَّارِ؛ إِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ تَعَالَى - لَا يَمْحُو السَّيِّئَ بِالسَّيِّئِ، وَلَكِنْ يَمْحُو السَّيِّئَ بِالْحَسَنِ؛ إِنَّ الْخَبِيثَ لَا يَمْحُو الْخَبِيثَ»⁽²⁾.

وَخَرَجَ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، قَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: 51]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: 172]؛ ثُمَّ ذَكَرَ: «الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبَّ يَا رَبَّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ؛ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟»⁽³⁾

وَرَوَى عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ أَدْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ؟» فَقَالَ: «يَا سَعْدُ!

مروان الدينوري القاضي المالكي (944/333) في المجالسة وجواهر العلم، تحقيق أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، بيروت: دار ابن حزم، 1411/1998، ج 3، ص 505-508.

(1) هو «عبد الله بن محمد بن القاضي أبي شيبه إبراهيم بن عثمان بن خواستي (849/235) الإمام العلم، سيد الحفاظ، وصاحب الكتب الكبار: المسند والمصنف، والتفسير، أبو بكر العبسي مولا هم الكوفي... وهو من أقران أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وعلي ابن المديني في السنن والمولد والحفظ... وكان بحراً من بحور العلم، وبه يضرب المثل في قوة الحفظ. حدث عنه: الشيخان، وأبو داود، وابن ماجه، وروى النسائي عن أصحابه، ولا شيء له في جامع أبي عيسى». الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 11، ص 122-127.

(2) ما أورده ابن عباد هنا النصف الثاني من حديث رواه أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبه، في مسند ابن أبي شيبه، تحقيق عادل بن يوسف الغزاوي وأحمد فريد المزيدي، الرياض: دار الوطن، 1418/1997، ج 1، ص 231-232؛ ورواه أحمد بن حنبل عن ابن مسعود أيضاً، مسند بن حنبل، ج 6، ص 189-190؛ وأبو نعيم في حلية الأولياء، ج 4، ص 182-183؛ وابن أبي الدنيا (894/281) في إصلاح المال، تحقيق محمد عبد القادر عطا، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1414/1993، ص 31.

(3) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب.

طَيَّبَ مَطْعَمَكَ تُسْتَجِبْ دَعْوَتَكَ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَنَاوُلُ اللَّقْمَةَ الْحَرَامَ فَيَقْدِفُهَا فِي جَوْفِهِ فَمَا تُسْتَجَابُ لَهُ دَعْوَةُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا»⁽¹⁾.

فَإِذَا كَانَتِ اللَّقْمَةُ الْوَاحِدَةُ مِنَ الْحَرَامِ تَمْنَعُ الدَّاعِيَ مِنَ الْإِجَابَةِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فَمَا ظَنُّكُمْ بِمَنْ يَتَغَدَّى فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ بِالْوَانِ الْحَرَامِ؟ فَمَنْ هُوَ هَكَذَا عِنْدَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - كَيْفَ يُتَقَبَّلُ مِنْهُ صَلَاةٌ أَوْ صِيَامٌ أَوْ عَمَلٌ؟ فَيَجِبُ⁽²⁾ عَلَيْنَا إِذَا أُنْ قَوْلَ عَلَى عَظِيمٍ مَا نَحْنُ بِهِ مُصَابُونَ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ﴾ [البقرة: 156].

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: «إِنَّ إِبْلِيسَ - لَعَنَهُ اللَّهُ - إِذَا ظَفَرَ مِنَ الْعَبْدِ بَسِيَّةً⁽³⁾ الْمَطْعَمَ لَمْ يَتَعَرَّضْ لَهُ فِي أَعْمَالٍ بَرَّةٍ، وَقَالَ: «قَدْ بَلَغْتُ حَاجَتِي مِنْكَ، أَعْمَلُ الْآنَ مَا شِئْتُ»؛ فَلَمْ يَعُدْ عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِهِ إِلَّا ظُلْمَةٌ فِي قَلْبِهِ وَقَسْوَةٌ، وَإِلَّا ضَعْفٌ فِي عَزَمِهِ وَفُتُورٌ وَمَعْصِيَةٌ وَحِرْمَانٌ التَّوْفِيقِ وَالْعِصْمَةِ وَلَمْ يُورَثْ عِلْمُ الْمَلَكُوتِ وَالْحِكْمَةِ. فَإِذَا أَفْسَادُ الْمَطْعَمِ أَصْلٌ يَتَرَعَّرُ مِنْهُ كُلُّ مَاثِمٍ، وَإِصْلَاحُهُ مِنَ الدِّينِ، وَهُوَ دَابُّ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْمُهْتَدِينَ.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهَمَ⁽⁴⁾ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَمْ يُدْرِكْ مَنْ أَدْرَكَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْقِلُ مَا يَدْخُلُ جَوْفَهُ - يَعْنِي الرِّغِيفِينَ مِنْ حِلِّهِمَا»⁽⁵⁾. وَقَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ⁽⁶⁾ - رَضِيَ

(1) هذا الحديث جزء من حديث عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - ولفظه: «ثَلَيْتَ هَذِهِ الْآيَةَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾» [البقرة: 167] فقام سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - فقال: «يا رسول الله ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة...» رواه أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (970/360) في المعجم الأوسط، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة: دار الحرمين، 1415/1995، ج 6، ص 310-311.

(2) م: يجيب.

(3) ب: بسية؛ ن: سية.

(4) قال السلمي: «إبراهيم بن أدهم، أبو إسحاق (777/161)، من أهل بلخ، كان من أبناء الملوك والمياسير. خرج متصيداً فهتف به هاتف أيقظه من غفلته، فترك طريقته في التزُّين بالدنيا ورجع إلى طريقة أهل الزهد والورع. خرج إلى مكة وصحب بها سفيان الثوري والفضيل بن عياض. دخل الشام فكان يعمل فيه، ويأكل من عمل يده، وبها مات» وهو في الطبقة الأولى من العباد والصوفية، انظر أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شريعة، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1389/1969، ص 27-38.

(5) ذكره الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين، ربيع العبادات، كتاب الحلال والحرام، ج 3، ص 353؛ وأبو نعيم في حلية الأولياء بلفظ: «يا شقيق لم ينبل عندنا من نبل بالحج ولا بالجهاد، وإنما نبل عندنا من نبل من كان يعقل ما يدخل جوفه - يعني الرغيفين - من حله»، حلية الأولياء، ج 7، ص 428.

(6) الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي ثم اليربوعي خراساني (803/187)، من ناحية مَرُو من قرية يقال لها فندين، وقيل: ولد في سمرقند، والله أعلم. وهو في الطبقة الأولى من العباد والصوفية، انظر: أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ص 6-14.

اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ عَرَفَ مَا يَدْخُلُ جَوْفَهُ كُتِبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا؛ فَاَنْظُرْ عِنْدَ مَنْ تُفْطِرُ يَا مُسْكِينٌ»⁽¹⁾.

وَرُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّهَا⁽²⁾ قَالَتْ: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مِنَ الْمُؤْمِنِ؟ فَقَالَ: الَّذِي إِذَا أَصْبَحَ سَأَلَ مِنْ آيِنِ قُرْصَاهُ. ثُمَّ سَأَلَتْهُ فَقُلْتُ: مِنَ الْمُؤْمِنِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي إِذَا أَمْسَى سَأَلَ مِنْ آيِنِ قُرْصَاهُ»⁽³⁾.

وَرُوِيَ عَنْ سُلَيْمَانَ⁽⁴⁾ الْخَوَّاصِ⁽⁵⁾ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إِنَّهُ قِيلَ لَهُ «أَلَا تَغْزُو؟» فَقَالَ: «بَأَيِّ شَيْءٍ أَغْزُو؟ إِنِّي لَفِي جَمْعٍ ثَلَاثَةٍ دَرَاهِمٍ مِنْ حِلْهَا مُنْذُ كَذَا وَكَذَا، فَمَا أَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ». فَقَالُوا: «لَوْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ هَكَذَا لَمْ يَغْزُ أَحَدٌ». فَقَالَ: «لَوْ كَانُوا هَكَذَا لَكَبَّرُوا

(1) ذكره الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين، ربع العبادات، كتاب الحلال والحرام، ج 3، ص 353.

(2) م ب ن - أنها.

(3) رواه ابن شاس في الجواهر قال: «وقد أخبرني سحنون بن سعيد عن عبد الرحمن بن القاسم عن عبد الله بن عبد العزيز الزاهد، يرفع الحديث إلى عائشة - رضي الله عنها»، جلال الدين عبد الله بن نجم بن شاس (1219/616)، عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة، تحقيق محمد أبو الأجناف وعبد الحفيظ منصور، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1415/1995، ج 3، ص 556؛ ورواه القرافي (1285/684) في الذخيرة: «سألت عائشة - رضي الله عنها - رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت: «من المؤمن؟» قال الذي إذا أمسى سأل من أين قرصه. قالت: «يا رسول الله! من المؤمن؟» قال: «الذي إذا أصبح سأل من أين قرصه». قالت: «يا رسول الله! لو علم الناس لتكلفوه»، قال: «قد علموا ذلك ولكنهم غَشَمُوا المَعِيشَةَ غَشْمًا»، شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، الذخيرة في فروع المالكية، تحقيق محمد حجّج، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1414/1994، ج 13، ص 323؛ وقال الدكتور حجّج في مقدمته: «كتاب الذخيرة مبتكر في الفقه المالكي وفروعه وأصوله، بدع من مؤلفات عصره التي هي في الأعم الأغلب اختصارات أو شروح وتعليقات. وربما كانت الذخيرة أهم المصنفات في الفقه المالكي خلال القرن السابع الهجري وآخر الأمهات في هذا المذهب، إذ لا نجد لكبار فقهاء المالكية المغاربة والمشاركة الذين عاصروا القرافي أو جاؤوا بعده سوى مختصرات لم تُعَدَّ، على ما أدركت من شهرة وانتشار». ص 5.

(4) س: إبراهيم. هو أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الخواص في التوكل الحال المشهور والذكر المنشور، أبو نعيم الإصفهاني، حلية الأولياء، ج 10، ص 347-352؛ الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1422/2001، ج 6، ص 493-497؛ أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ص 284-287.

(5) قال الذهبي: «هو أبو أيوب سليمان الخواص، توفي في حدود السبعين ومائة، من العابدين الكبار بالشام، المجمع على ولايته وإمامته»، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 8، ص 178-179؛ وذكره أبو نعيم في حلية الأولياء، ج 8، ص 305-306.

تَكْبِيرَةً يَنْهَدِمُ⁽¹⁾ لَهَا سُورُ الْقُسْطَنْطِينَةِ⁽²⁾.

وَأَعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ الْإِكْتَارَ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ مِنَ الْإِعْطَاءِ وَالْإِفْضَالِ أَفْضَلُ مَا تُقَرَّبُ بِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَأَرْجَى مَا تُصَرَفُ إِلَى عَظِيمِ أَجْرِهِ الْأَمَالُ، لِأَنَّهُ شَهْرٌ اخْتَارَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَجَادَ فِيهِ بِمَا لَمْ يَجِدْ فِي غَيْرِهِ عَلَى الْمُذْنِبِينَ، إِذْ رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ كَانَ لِلَّهِ فِيهِ ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفٍ عَتِيقٍ وَسِتُّونَ أَلْفَ عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ، وَلَا يَزَالُ كُلُّ لَيْلَةٍ يُعْتَقُ مِثْلُ ذَلِكَ إِلَى آخِرِ لَيْلَةٍ تَبْقَى مِنَ الشَّهْرِ؛ فَإِذَا كَانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ أَعْتَقَ اللَّهُ فِيهَا مِثْلَ جَمِيعِ مَنْ أَعْتَقَ فِي سَائِرِ الشَّهْرِ»⁽³⁾. فَكَمَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَجُودُ فِيهِ بِأَكْثَرِ مِمَّا يَجُودُ فِي غَيْرِهِ؛ فَكَذَلِكَ يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يُكْثِرَ فِيهِ مِنْ إِفْضَالِهِ وَخَيْرِهِ.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ، لَهُوَ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ»⁽⁴⁾. وَرُوِيَ أَنَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ أَطْلَقَ كُلَّ أَسِيرٍ وَأَعْطَى كُلَّ سَائِلٍ⁽⁵⁾.

وَرُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ رَمَضَانَ ضَيْفٌ

(1) م: ينهزم.

(2) لم أقف عليه بهذا اللفظ ولكن عبارة مثل «انهدام سور القسطنطينية بالتكبير» كانت متداولة على ألسنة الناس حينئذ. كما ذكر السهرودي في هذا المعنى: «إن بعض الصالحين كتب إلى أخ يستدعيه إلى الغزو، فكتب إليه: «يا أخي، كل الثغور مجتمعة لي في بيت واحد، والباب على مردود»، فكتب إليه أخوه: «لو كان الناس كلهم لزموا ما لزمته اختلت أمور المسلمين، وغلب الكفار، فلا بد من الغزو والجهاد»، فكتب إليه: «يا أخي، لو لزم الناس ما أنا عليه، وقالوا في زواياهم على سجداتهم الله أكبر أنهدم سور قسطنطينية»». شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد السهروردي، **عوارف**

المعارف، القاهرة: المكتبة العلامة، 1358/1939، ص 77.

(3) روى مثله البيهقي في فضائل الأوقات بلفظ: «إن لله - عز وجل - في كل ليلة من رمضان ست مائة ألف عتيق من النار، فإذا كان في آخر ليلة أعتق بعدد من مضي» وقال البيهقي: «هكذا جاء هذا الحديث مرسلًا». ص 44.

(4) رواه مسلم: كتاب الفضائل، باب كان النبي - صلى الله عليه وسلم - أجود الناس بالخير من الريح المرسلة؛ رواه البيهقي في فضائل الأوقات، ص 50؛ ورواه ابن أبي الدنيا في باب الجود وإعطاء السائل في مكارم الأخلاق، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، 2000/1421، ص 252.

(5) رواه البيهقي في فضائل الأوقات، ص 50؛ وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق، باب الجود وإعطاء السائل، ص 253.

فَأَكْرَمُوا ضَيْفَكُمْ وَوَسَّعُوا فِيهِ عَلَى أَهْلِيكُمْ وَخَفَّفُوا عَنْ مَمَالِكِكُمْ». ⁽¹⁾ وَرُوِيَ عَنْهُ ⁽²⁾ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فِي رَمَضَانَ صَرَفَ اللَّهُ عَنْهُ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ الْبَلَاءِ، مِنْهَا الْجُنُونُ وَالْجَذَامُ وَالْبَرَصُ». ⁽³⁾ وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ بَكَّارٍ ⁽⁴⁾ - رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَدْرَكْتُهُمْ فِي رَمَضَانَ يُوسَّعُونَ عَلَى أَهْلِيهِمْ وَعَلَى قَرَابَاتِهِمْ وَجِيرَانِهِمْ وَيُصْبِحُونَ جِيَاعًا وَيُمْسُونَ جِيَاعًا».

وَقَالَ سُلَيْمٌ بْنُ مَنْصُورٍ ⁽⁵⁾ - رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَانَ أَبِي لَا يَبْقَى لَهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ شَيْءٌ

(1) قد اشتهر على السنة الناس ولم أقف عليه.

(2) س: عن رسول الله.

(3) لم أقف عليه بهذا اللفظ، لكن لا نشك بأن الصدقة تدفع البلاء؛ كما ذكر ابن الجوزي في البر والصلة، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه: «قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «الصدقة تمنع سبعين نوعاً من أنواع البلاء، أهونه الجذام والبرص»، ابن الجوزي، البر والصلة، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1413 / 1993، ص 219. وذكر شرطه محمد باقر المجلسي (1111 / 1698) في موسعته الحديثية الشيعية بحار الأنوار: «عن سعد بن عبد الله عن محمد بن عيسى اليقطيني عن عمرو بن إبراهيم عن خلف بن حماد عن ذكره عن أبي عبد الله - عليه السلام - قال: «من تصدق في شهر رمضان بصدقة صرف الله عنه سبعين نوعاً من البلاء»؛ محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، كتاب الزكاة والصدقة، باب 39: ثواب من فطر مؤمناً.

(4) هو علي بن بكار أبو الحسن البصري (207 / 822)، الإمام الرباني العابد الزاهد، نزيل المصيبة، ومريد إبراهيم بن أدهم. وكان فارساً مرابطاً مجاهداً كثير الغزو. حدث عن ابن عون، ومحمد بن عمرو، وحسين المعلم، وهشام بن حسان، والأوزاعي، وطائفة. وليس هو بالكثير. قال يوسف بن مسلم: «بكى علي بن بكار، حتى عمى، وكان قد أثرت الدموع في خديه». وعنه قال: «لأن ألقى الشيطان أحب إلي من أن ألقى حذيفة المرعشي، أخاف أن أتصنع له فأسقط من عين الله ... وكان يصلي الفجر بوضوء العتمة - رحمه الله». الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 9، ص 584-585.

(5) قال الخطيب: «سليم بن منصور بن عمار، أبو الحسن المروزي؛ سكن بغداد وحدث بها عن أبيه، وعن إسماعيل بن علقمة، وعلي بن عاصم، وأبي داود الطيالسي». أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (463 / 1070)، تاريخ مدينة السلام، ج 10، ص 321-322. وأبوه منصور بن عمار، قال فيه أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية: «ومنهم منصور بن عمار، وكنيته أبو السري، من أهل مرو؛ وأصله منها، من قرية يقال لها «دندانقان»، كذلك سمعت أبا العباس أحمد بن سعيد المَعْدَانِي يذكر ذلك. ويقال: إنه من أهل «أبيورد»، كذلك ذكره لي أبو الفضل الشافعي الأخباري. ويقال: إنه من أهل «بوشنج»، كذلك ذكره لي محمد بن العباس العصمي. أقام بالبصرة، وكان من أحسن الناس كلاماً في الموعظة، وكان من حكماء المشايخ». أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ص 130-132؛ ذكره كذلك الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، ج 15، ص 80-89؛ وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج 60، ص 324-344؛ وأبو نعيم، حلية الأولياء، ج 9، ص 339-345.

لَا كَسَوَةٌ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا بَعَثَ بِهِ إِلَى إِخْوَانِهِ الْمُتَقَلِّلِينَ⁽¹⁾». (2) وَكَانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ⁽³⁾ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لَا يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ إِلَّا أَجَابَ، وَكَانَ يَعُدُّهُ مِنَ النَّفَقَةِ لِأَنَّهُ رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ كَانَ لَهُ مَالٌ فَلْيَتَصَدَّقْ مِنْ مَالِهِ، وَمَنْ كَانَ لَهُ عِلْمٌ فَلْيَتَصَدَّقْ مِنْ عِلْمِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ قُوَّةٌ فَلْيَتَصَدَّقْ مِنْ قُوَّتِهِ»⁽⁴⁾.

وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ مِمَّا يُنْدَبُ إِلَيْهِ فِي لَيَالِي شَهْرِ رَمَضَانَ الْقِيَامُ فِيهَا بِمَا تَسِيرُ مِنَ الْقُرْآنِ⁽⁵⁾ وَكَذَلِكَ إِحْيَاءُ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ التَّمَاسًا لِيلَةِ الْقَدْرِ الْعَظِيمَةِ الْمَأْثَرِ⁽⁶⁾ وَالْمَفَاخِرِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لِيلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»⁽⁷⁾. وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ أَحْيَا اللَّيْلَ وَأَيَّظَ أَهْلَهُ وَجَدَّ⁽⁸⁾ وَشَدَّ الْمِزْرَ»⁽⁹⁾.

(1) س: مقلين.

(2) رواه ابن عساكر عن طريق سُلَيْم بن منصور بن عَمَّار في تاريخ مدينة دمشق، ج 60، ص 342.
(3) هو أبو عبد الله سُفْيَان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي (734/112). أحد الأئمة الخمسة المجتهدين، ونسبه كما ذكره ابن سعد في الطبقات، وابن حزم في جمهرة النسب، والقلقشندي في نهاية الأرب. قال الإمام الذهبي: «هو شيخ الإسلام، إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه أبو عبد الله الثوري». الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 276.

(4) رواه أبو عبد الله القُطَان في جزء من حديث له: «من كان له مال فليصدق من ماله، ومن كان له علم فليصدق»؛ وأورده ابن رجب في جامع العلوم والحكم، في الحديث الخامس والعشرون: «وخرج ابن مردويه بإسناد فيه ضعف عن ابن عمر مرفوعاً: «من كان له مال، فليصدق من ماله، ومن كان له قوة، فليصدق من قوته، ومن كان له علم، فليصدق من علمه»، ولعله موقوف»، ابن رجب، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تحقيق شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1412/1991، ج 2، ص 59.

(5) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَاقْرَأُوا مَا تَسِيرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [المزمل: 18].

(6) ن: - المأثر.

(7) م ب: - «وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ... ذَنْبِهِ»، وما أثبتته من لفظ البخاري حيث يقول: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ: «حَفِظْنَاهُ» - وَإِنَّمَا حَفِظَ مِنَ الزُّهْرِيِّ - «عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». تَابِعَهُ سُلَيْمَانُ بْنُ كَثِيرٍ عَنْ الزُّهْرِيِّ. البخاري، كتاب فضل ليلة القدر، باب فضل ليلة القدر؛ ورواه النسائي في سنن النسائي الصغرى، كتاب الصيام، ثواب من قام رمضان إيماناً واحتساباً، وهو متفق عليه، وبشيء من التقديم والتأخير؛ ورواه البيهقي في فضائل الأوقات، ص 54.

(8) ن: - وجد.

(9) وراه البيهقي في فضائل الأوقات، باب الاجتهاد في العشر الأواخر من رمضان، ص 52؛ ومسلم، كتاب الاعتكاف، باب الاجتهاد في العشر الأواخر من رمضان.

وَرَوَى عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّمَا أَخَذَ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - هَذِهِ التَّرَاوِيحَ مِنْ حَدِيثِ سَمِعَهُ مِنِّي». قالوا: «وَمَا هُوَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟» قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى حَوْلَ الْعَرْشِ مَوْضِعًا يُسَمَّى حَظِيرَةً⁽¹⁾ الْفُؤَادِ وَهُوَ مِنَ النُّورِ فِيهِ مَلَائِكَةٌ لَا يُحْصِي عَدَدَهُمْ إِلَّا اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - يَعْبُدُونَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ عِبَادَةً لَا يَفْتُرُونَ سَاعَةً، فَإِذَا كَانَ فِي لَيْالِي شَهْرِ رَمَضَانَ اسْتَأْذَنُوا رَبَّهُمْ - عَزَّ وَجَلَّ - أَنْ يَنْزِلُوا إِلَى الْأَرْضِ فَيَصَلُّوا مَعَ بَنِي آدَمَ، فَيَنْزِلُونَ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى الْأَرْضِ، فَكُلُّ مَنْ مَسَّهُمْ أَوْ مَسَّوْهُ سَعَدَ سَعَادَةً لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا؛ فَقَالَ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لَمَّا سَمِعَ هَذَا: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ فَجَمَعَ التَّرَاوِيحَ وَنَصَبَهَا».⁽²⁾

وَرَوَى عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ خَرَجَ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ فَسَمِعَ الْقِرَاءَةَ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَأَى الْمَصَابِيحَ تَزْهَرُ فِيهَا فَقَالَ: «نُورَ عُمَرُ الْمَسَاجِدِ، نُورَ اللَّهِ قَبْرَهُ»⁽³⁾ كَمَا نُورَ مَسَاجِدِ اللَّهِ⁽⁴⁾ بِالْقُرْآنِ».⁽⁵⁾ وَرَوَى عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ هَكَذَا أَيْضًا.⁽⁶⁾

فَعَلَيْكُمْ - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - بِالْمُبَادَرَةِ إِلَى نَيْلِ جَزِيلِ ثَوَابِ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهِ مِنْ صِيَامٍ وَقِيَامٍ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَتَلَقُّوهُ بِالْفَرَحِ وَالِاسْتِبْشَارِ وَرَجَاءِ الْمَغْفِرَةِ لِمَا اسْلَفْتُمُوهُ مِنَ الْأَثَامِ وَالْأَوْزَارِ، وَخَاطِبُوهُ بِاللِّسَانِ الْمَقَالِ، وَقُولُوا: «يَا شَهْرَ الرَّحْمَةِ وَالْإِفْضَالِ، يَا مُطَهِّرَ الْأَوْزَارِ، يَا مُنْقِذًا مِنَ النَّارِ، يَا زَائِرًا أَلَمَ بَنِي كَرِيمًا، يَا سَاتِرًا عَلَيْنَا عَظِيمًا، مَرْحَبًا بِكَ وَبِحُلُولِكَ، وَأَهْلًا بِاسْتِهْلَالِكَ وَنُزُولِكَ»⁽⁷⁾، فَنِعْمَ الْمُطَهِّرُ أَنْتَ مِنَ الْأَوْزَارِ، وَالْوَسِيلَةُ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ، أَيَّامُكَ عَظِيمَةٌ وَلَيَالِيكَ كَرِيمَةٌ، أَهْلَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ وَالسَّلَامَةِ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَأَنَالَكَ بِكَ السَّعَادَةُ وَالْحُسْنَى وَالزِّيَادَةُ⁽⁸⁾، وَأَعَانَنَا عَلَى آدَاءِ حَقِّكَ، وَلَا خَيْرَئِنَّا⁽⁹⁾ مِنْ امْتِنَانِكَ وَعِثْقِكَ.

اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا شَهْرُكَ الَّذِي صَمَّمْتَهُ الرَّحْمَةُ وَالْغُفْرَانُ وَفَتَحْتَ فِيهِ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ

(1) م ب: حضيرة. وما أثبتته من «ن» وكذا ورد في تنبيه الغافلين، انظر إلى التعليق التالي.

(2) أبو الليث السمرقندي، تنبيه الغافلين، ص 254.

(3) ن: قلبه.

(4) ن: - الله.

(5) أبو الليث السمرقندي، تنبيه الغافلين، ص 254.

(6) أبو الليث السمرقندي، تنبيه الغافلين، ص 254.

(7) س: ودخلوك.

(8) اقتباس من قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ...﴾ [يونس: 26]

(9) ن: لأخيها.

وَعَلَّقْتَ فِيهِ أَبْوَابَ النَّارِ، وَفَضَّلْتَنَا⁽¹⁾ بِهِ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ، وَأَسْبَغْتَ بِهِ عَلَيْنَا عَظِيمَ النِّعَمِ فَضْلاً مِنْكَ عَلَيْنَا وَرَحْمَةً بَثَّتْهَا لَدِينَا؛ فَنَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَأَنْ تُصَرِّفَنَا فِيهِ فِيمَا تَرْضَاهُ، وَتَمُنَّ عَلَيْنَا بِمَا أَمْلَأْنَاهُ وَمِنْ فَضْلِكَ رَجَوْنَاهُ. اللَّهُمَّ خُذْ فِيهِ بِنَوَاصِينَا إِلَى سُبُلِ تَوْفِيقِكَ وَهِدَايَتِكَ، وَجُدْ فِيهِ عَلَيْنَا مُطِيعِينَ وَعَاصِينَ بِنَوَالِ عَفْوِكَ وَكَرَامَتِكَ، وَأَعِنَّا عَلَى مُرَاعَاةِ لِيَالِيهِ وَأَيَّامِهِ، وَلَا تَجْعَلْ حَظَّنَا الْجُوعَ وَالْعَطَشَ مِنْ صِيَامِهِ، وَاجْعَلْهُ لَنَا عِنْدَكَ مِنْ ذُنُوبِنَا شَافِعاً، وَلِعَذَابِكَ فِي الدَّارَيْنِ دَافِعاً.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا فِيهِ مِنَ الصَّائِمِينَ الْقَائِمِينَ الْمُخْلِصِينَ أَعْمَالَهُمْ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَاسْلُكْ بِنَا مِنْ تَعْظِيمِهِ وَتَوْقِيرِهِ مَا سَلَكَهُ أَرْبَابُ الْقُلُوبِ، وَجَنِّبْنَا فِيهِ قَوْلَ الزُّورِ وَالْكَذِبِ وَالْغِيْبَةِ وَالنِّمِيمَةِ وَكِبَائِرَ الذُّنُوبِ، وَأَنْعِمْ⁽²⁾ عَلَيْنَا فِيهِ بِالْهُدَى⁽³⁾ وَالْغُفْرَانِ وَالتَّوْفِيقِ وَالرِّضْوَانِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا فِيهِ مِمَّنِ اسْتَجَابَ لَكَ وَلِرَسُولِكَ وَاسْتَعْمَلْنَا فِيهِ بِأَعْمَالٍ تُوجِبُ رِضَاكَ وَحُسْنَ قَبُولِكَ، وَاجْمَعْ فِيهِ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ وَهِمَمَنَا عَلَى تَرْكِ مُخَالَفَتِكَ، وَارْزُقْنَا فِيهِ صَوْمَ الْأَبْرَارِ، وَأَمِدَّنَا فِيهِ بِحُسْنِ الْمَعُونَةِ⁽⁴⁾ وَاجْعَلْنَا فِيهِ مِنَ الْعُتْقَاءِ مِنَ النَّارِ. اللَّهُمَّ أَلْفَ فِيهِ⁽⁵⁾ بَيْنَ قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ، وَاجْعَلْ دَائِرَةَ السُّوءِ عَلَى أَعْدَائِكَ الْكَافِرِينَ، وَاكْنُفْنَا بِإِحْسَانِكَ وَأَنْعِمْ عَلَيْنَا بِغُفْرَانِكَ، وَتَوَفَّنَا عَلَى تَوْحِيدِكَ وَعَامِلْنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ، وَلَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ،⁽⁶⁾ وَاعْفِرِ اللَّهُمَّ لَنَا وَلِأَبَائِنَا وَلِأُمَّهَاتِنَا وَلِإِخْوَانِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ⁽⁷⁾ وَالْمَيِّتِينَ، وَارْحَمْنَا وَإِيَّاهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَإِمَامِ الْمُرْسَلِينَ
وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وَسَلِّمْ تَسْلِيماً

(1) ن: فَضَّلْتَ.

(2) م: وَأَنْعِمْ.

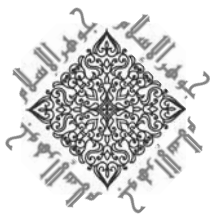
(3) ن: الندي.

(4) ن: المعرفة.

(5) م ب: - فيه.

(6) من قوله تعالى في سورة يونس آيتي 85-86.

(7) ب ن: + منهم.



يسألونك قل

مسائل في الصوم و الصلاة

بقلم الشيخ الحبيب النفطي - رحمه الله

س: هل حقنة التخدير (البنج) في الفم لقلع ضرس في نهار رمضان تعد من المفطرات ويجب على مستعملها قضاء ذلك اليوم الذي قلع فيه ضرسه؟

ج: اعلم أيها السائل الكريم أن حقنة البنج في الفم لقلع ضرس لا تفطر الصائم ولا يؤمر بقضاء ذلك اليوم من رمضان بشرط ألا يتلع الصائم شيئاً من ماء الحقنة فإن ابتلع فعندها يجب عليه قضاء ذلك اليوم والله الموفق.

س: صائم في نهار رمضان طلب منه طبيبه المباشر المختص في مرض الأعصاب استعمال الدواء ثلاث مرات في أوقات محددة مضبوطة وذلك مقاومة للصرع وامتنالاً لتعليمات الطبيب يشرب الدواء فقط عند منتصف النهار ويبقى كامل يومه صائماً يشارك الصائمين في السحور والإفطار فقط؟ وسؤالي هل يثاب على ذلك أم لا؟ وهل يجب عليه القضاء أو الفدية مع العلم أن طبيبه المباشر يرى أن مرض الصرع يعتره من حين لآخر ربما سيتعايش معه إلا إذا شفاه الله تعالى أرجو أن تجيبني عن أسئلتني كلها ولك مني خالص الشكر والسلام.

ج: اعلم أيها السائل الكريم أن هذا الشخص الذي أشار عليه طبيبه المختص في مرض الأعصاب باستعمال الدواء ثلاث مرات في أوقات محددة نهاراً وبالتحديد عند منتصف النهار ويبقى كامل يومه صائماً لا يأكل ولا يشرب لا يجب عليه القضاء ولكن تجب على الفدية فيعطي عن كل يوم أفطره دينارين على الأقل والله أعلم.

استعمال زيت الشعر والكحل في رمضان ومسح شعر الرأس في الوضوء

س: تقول السائلة الكريمة هل يعتبر الصائم مفطرا في رمضان أو غيره وذلك في ثلاث حالات إذا استعملت المرأة الزيت في الشعر أو استعملت العطور لإزالة الرائحة الكريهة أو استعملت إحدى مواد التجميل؟

ج: اعلمي أيتها السائلة الكريمة أن دهن الرأس بالزيت في رمضان وكذلك الكحل في رمضان أو استنشاق البخور بالأنف في رمضان تؤدي إلى إفطار الصائم سواء كان الصوم صوم رمضان أو غيره وذلك إذا اكتحل الصائم أو دهن رأسه بالزيت نهارا من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ووصل إلى الحلق قبل غروب الشمس فإنه يجب على الصائمة أو الصائم قضاء ذلك اليوم من رمضان أو غيره من أنواع الصيام أما إذا اكتحل الصائم ليلا ووصل الكحل أو الدهن إلى الحلق نهارا فلا قضاء عليه وصومه صحيح لا يفسد. وهذا الحكم هو في مذهبنا المالكي. انتهى نقلا من حاشية ابن الحاج الفقيه المالكي على ميارة ج 2 ص 70.

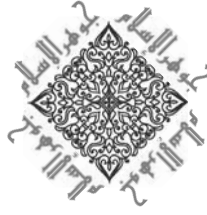
صوم الحائض

س: هل يجب على الحائض أن تفطر في رمضان أو غيره حتى ولو كانت قادرة على الصوم وإن لم تفطر فهل تعتبر قد ارتكبت إثما وإذا كانت قد ارتكبت إثما فكيف تكفر عن هذا الإثم؟

ج: اعلمي أيتها السائلة الكريمة أن المرأة إذا حاضت في رمضان أو نفست أو ولدت أي وضعت حملها في رمضان فإنها يجب عليها أن تفطر حتى تتم أيام حيضها أو نفاسها فإذا طهرت من حيضها أو نفاسها وجب عليها أن تقضي الأيام التي أفطرتها في حيضها أو نفاسها ولا يصح صومها وهي حائض أو نفساء وهذا هو الحكم الشرعي إن شاء الله في جواب هذه المسألة. والله الموفق.

س: هل يجب مسح الرأس في الوضوء دون وضع (فلارة) على الرأس والمسح عليها؟

ج: اعلمي أيتها السائلة الكريمة أن مسح الرأس في الوضوء الأصغر هو فرض وواجب من واجبات الوضوء ولا يجوز مسح الرأس وعلى الرأس حائل (فلارة) كما ذكرت (أو غيرها) مما يحول ويمنع وصول اليدين مبتلتين إلى شعر الرأس ومسح الرأس في الوضوء هو فرض من فرائض الوضوء السبع وهذا في مذهبنا المالكي والله الموفق.



البيان الختامي للمؤتمر الأفريقي لتعزيز السلم

نواكشوط 6 إلى 8 رجب 1443 هـ / 08-10 فبراير 2022م

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا
محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين وعلى آله
وصحبه أجمعين؛ وبعد

ديباجة

- نظرا إلى إيماننا العميق بثراء التراث الثقافي، وتعدد الروافد الحضارية، وتنوع
النظم الاجتماعية التي تميز القارة الإفريقية، فإننا واثقون أنها تستطيع أن تبتكر
مشروعاً فكرياً متكاملاً لإطفاء نيران الاحتراب، والتصدي للتطرف الذي تكاد حرائقه
أن تلتهم مناطق واسعة من قارتنا الخضراء.

- ونظراً إلى أن التطرف ما فتى يوظف الفكر الديني لتحقيق مآرب تدميرية، تتمثل
في زعزعة الاستقرار، وتهديد السلم الوطني، والدولي، فقد أصبح «واجب الوقت»
على العلماء والقادة الدينيين التدخل العاجل من أجل التصدي للعنف والتطرف
والمساعدة في فهم هذه الظاهرة، وتحليل أسبابها، ومعرفة تشكلاتها وملابساتها،
واستشراف مآلاتها المستقبلية، وتفكيك الخطاب الإيديولوجي الذي تستمد منه
«شرعيتها» وما توظفه من مناهج خاطئة في الاستدلال، ومفاهيم مغلوطة في مجالي
الدين والسياسة، وتنزيل خاطئ للنصوص الشرعية على غير محلها، وعدم مراعاة
العلاقة الناعمة بين خطاب الوضع وخطاب التكليف.

- وادراكاً منا لأهمية الأمن الروحي، وأنه صار في عدد من دول القارة في دائرة
الخطر، تماماً كالنسيج الاجتماعي نتيجة مخاطر تفاقم التفكك والتشردم جراء
خطاب التطرف الذي يقوم على تأجيج النزعات العرقية وتغذية الاحتراب الداخلي.

- وانطلاقاً من ضرورة اضطلاع علماء إفريقيا بمسؤوليتهم الدينية والوطنية والتاريخية بتقديم مقترحات عملية تهدف إلى نقل بلدان القارة - ممثلة في فعاليتها الدينية - من حالة التأثر والانفعال، إلى مرحلة التأثير الفعال، ومن المسيرة إلى المبادرة في تعزيز السلام الإقليمي والعالمي.

- وإدراكاً منا لاتساع نطاق استباحة حرمة الأنفس والأعراض والأموال، وفداحة مخلفات الإرهاب على الأمن النفسي والاجتماعي، واستنزافه للطاقات البشرية والاقتصادية، مما جعل المجتمعات تحتاج - اليوم - إلى إطفائين همهم الوحيد كيف يكون إطفاء الحريق؛ حتى يتعافى جسد القارة مما يهيبه ويرهقه.

- واستثماراً لما حظي به إعلان انواكشوط في سنة 2020م من قبول واستحسان وما ناله من إشادة وتنويه، على المستويين الإقليمي والدولي من جهات على رأسها الاتحاد الأفريقي الذي تبنى على مستوى قمته في فبراير من سنة 2020م مضامين (إعلان انواكشوط) ليبرهن على وجاهة المبادرة وراهنية الموضوع.

- وتفعيلاً لمخرجات إعلان نواكشوط 2020، واستجابة للحاجة الملحة إلى جهد مشترك بين القيادات الدينية في المنطقة لمواجهة خطر الإرهاب والتطرف، - واستجابة للتحديات الوجودية التي تواجه الإنسانية جمعاء، جراء وباء كوفيد 19 المستجد (كورونا) الذي غير برامج وخطط البشرية، وأعاد ترتيب أولوياتها وساءل توجهاتها القيمة،

وفي مدينة نواكشوط، وتحت الرعاية السامية لفخامة الرئيس السيد محمد ولد الشيخ الغزواني، رئيس الجمهورية الإسلامية الموريتانية، هذا البلد، الذي كان ولا يزال بهويته الإسلامية العربية الإفريقية، مثابة لطلاب العلم ومأوى لمريدي الخير، ومصدراً للبعوث الدّعوة،

وبشراكة بين الحكومة الموريتانية والمؤتمر الإفريقي لتعزيز السلم، أحدى مبادرات منتدى أبوظبي للسلم، بدولة الإمارات العربية المتحدة، أيام 6 إلى 8 رجب 1443هـ / 8 إلى 9 فبراير 2022م،

اختار المؤتمر الإفريقي لتعزيز السلم شعار «بذل السلام للعالم» عنواناً لملتقاه الثاني. وذلك تماشياً مع ما ورد في إعلان انواكشوط 2020 حيث «دعا المؤتمر المشاركين إلى ابتكار حلول تستنير بمقاصد الشريعة السمحة في الحفاظ على الضروريات الخمس، وملاحم التراث الإفريقي العريق في المصالحات وتجنب

النزاعات الأهلية،

وقد احتضن الملتقى مئات المشاركين ما بين وزراء وممثلي منظمات أممية ومسؤولي منظمات إسلامية وسفراء وممثلي هيئات حكومية ومراكز ومنظمات دولية ومفتين وعلماء وقضاة وقيادات دينية ومفكرين وشخصيات أكاديمية ونواب برلمانيين وغيرهم. كما حظي الملتقى بمتابعة الآلاف لجلساته وأعماله عبر وسائل الإعلام والمنصات الالكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي في مختلف دول العالم وباللغات المختلفة، وقد تناولت جلسات الملتقى محاور مختلفة، من أهمها، ماييلي: إفريقيا-الوضع الراهن والمقاربات، تفكيك الخطاب المتطرف وتصحيح المفاهيم الشرعية، الحوارات والمصالحات وتعزيز السلم المجتمعي، الدين حافظاً على المواطنة، التراث الإفريقي رافداً للسلم، وإفريقيا- قارة المستقبل.

كما شهد الملتقى كذلك عدة ورشات حول الأدوار الإيجابية للتعليم والإعلام والشباب في صناعة السلم ومكافحة التطرف. وقد خلص المشاركون في الملتقى الثاني للمؤتمر الإفريقي بعد تبادل وجهات النظر في القضايا المدروسة، مستحضرين خصوصية الظرفية الإقليمية والعالمية، إلى ما يلي:

أولاً- النتائج:

1 - يأتي هذا الملتقى وقد مرّ العالم، ولا يزال يمر، بجائحة كورونا التي أكدت أولوية البحث عن قيم التضامن فالبشر اليوم مثل ركاب السفينة يحكمهم مصير مشترك. وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً للمجتمع بركاب سفينة من طابقين، أراد أصحاب الطابق الأسفل أن يعملوا خرقاً في الجزء الخاص بهم، وهنا ينبه الحديث على أن أهل الطابق الأعلى لو (تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعاً، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعاً). فالمصير المشترك يعني مسؤولية مشتركة.

2 - كما يأتي اختيار (بذل السلام للعالم) شعاراً للملتقى هذا العام اقتباساً من الحديث الصحيح: «ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من إقتار». وذلك تذكيراً وتأكيداً على أن المسلم الحق مطلوب منه أن يبذل السلام للعالم كله إنساناً وحيواناً وبيئة، بأن يكف يده عن الأذى، ولسانه عن نشر الفتن، وقلبه عن الكراهية.

3 - إنّ للأزمات التي تعاني منها إفريقيا أبعاداً سياسية وتنموية واجتماعية وعليه فإن حلولها لا بد أن تكون شاملة، غير أن البعد الذي يعالجه هذا الملتقى هو البعد

الفكري، فإذا صلحت الأفكار صحّت الأعمال.

4 - هذا الملتقى منصة لإعلان الموقف الشرعي وفرصة للعلماء والمصلحين أن يدعوا كل حامل سلاح أن يضع سلاحه، وكل خارج عن الجماعة أن يعود إلى مجتمعه، وكل من كفر الناس أن يعود إلى منطق الشرع، فتكفير المسلم كقتله كما ورد في الحديث.

5 - إن الدعوة إلى السلام هي دعوة إلى إحياء النفس (ومن أحيّاها فكأنما أحيّا الناس جميعاً)، وهي من واجبنا جميعاً تجاه غيرنا ففي الحديث الشريف: (مَنْ استطاعَ منكم أن ينفعَ أخاه فليفعَلْ). وإنّ من أعظم النفع أن نمنع الناس من الفتن ونحميهم من الاقتتال والقتل.

6 - إنّ دعوة السلم هي دعوة محبة وشفقة على أبنائنا الشباب من أن يضيعوا أعمارهم وأوطانهم في تدمير ذاتي لا تعمير، وفي ضياع لا صلاح. إنّ تذكير لهم بأنّ الأجدر بهم أن يعمروا الأوطان ويرفعوا البنيان وقيموا الصلاة ويرفعوا الأذان وأن يحيوا الأرض بالزرع والعمل الصالح ونشر العلوم وبر الوالدين.

7 - على العلماء والأكاديميين العارفين بمقاصد الشريعة الالتفات إلى فقه السلم فيه إحياء للتوجهات القرآنية والنبوية وضبط للمفاهيم الشرعية.

8 - المفهوم الشرعي محكوم بخطابين خطاب تكليف وخطاب وضع. فإذا اختلّ خطاب الوضع بشروطه وأسبابه وموانعه، اختل خطاب التكليف فينقلب الأمر المطلوب محرماً.

9 - لا بد من تحديد وتجديد المفاهيم بكل قوة ووضوح وضبط علاقتها بالمصالح والكشف عن ضوابطها وحدودها الشرعية في ضوء النصوص الحاكمة والمقاصد.

10 - إن كثيراً مما يعيشه الناس اليوم من فتن مرده إلى التباس مفاهيم دينية، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهد وطاعة أولي الأمر وهي مفاهيم كانت في الأصل سياجا على السلم وأدوات للحفاظ على الحياة ومظهرها من مظاهر الرحمة الربانية التي جاء بها الإسلام، أدى فهمها على غير حقيقتها إلى ممارسات ضد مقصدها الأصلي وهدفها وغايتها.

11 - أن من أهم ما ينبغي التركيز عليه الدعوة إلى إعادة الفاعلية لمبدإ الحوار والمصالحة، انطلاقاً من القناعة الراسخة بأن الحلول العسكرية والأمنية وحدها غير كافية، وأنه آن الأوان لنستعيد التراث الإفريقي الأصيل في التسامح وفي حل

المشكلات بالحوار والوساطات والمصالحات بالحكمة تحت أشجار البواب (الدوم) أو النخيل المثمرة.

12 - إن التنازلات والملائمات من صميم الشرع ومنطق العقل، هكذا علمنا النبي صلى الله عليه وسلم من خلال صلح الحديبية، ولا يعتبر هذا النوع من التنزيل للقيم تنازلاً عن حقيقة أو تخلياً عن حق، بل هو بحث عن أنجع السبل لإحقاق الحق ورد الظلم، وحتى لا ينقلب المظلوم ظالماً.

13 - بالحوار يُبحث عن المشتركات والحلول الوسط التي تضمن مصالح الجميع، وتدرأ الحسم العنيف، وتبتكر الملائمات والمواءمات، التي هي من طبيعة الوجود، ولهذا أقرها الإسلام، وفق موازين المصالح والمفاسد المعتمدة.

14 - الجهاد كما شرعه الله عز وجل ومارسه النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الراشدون، كان من أجل السلم والرحمة، أما التطرف والعنف فهو بغي وخروج على الناس بالسيف، لم تتوَقَّر فيه أسباب الجهاد ولم تتوافر فيه شروطه. كما أنه هو عبث لا يحق حقاً ولا يبطل باطلاً، بل يزهق النفوس البريئة ويؤجج الاقتتال الداخلي والحروب الأهلية التي حذر منها النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع: (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)، وهو أيضاً فساد في الأرض ينغص معاش الناس ويروّع أمنهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ، وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾.

15 - إن سبيل الله، نجاة وليست فوتاً، وحياة وليست موتاً، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾.

16 - إن من المهم أن نوضح لأولئك الذين يرفعون تطبيق الشريعة شعاراً وذريعة للعنف، أن أول تطبيق للشريعة هو إحلال السلام وإيقاف الحرب.

17 - إن السلام مقصد أعلى تتحقق من خلاله بقية المقاصد، فبالسلام ترفع الدعائم الخمس، وتقام الخمس، وتحفظ الكليات الخمس، وتحقق القيم الخمس، وتطبق القواعد الخمس.

18 - إنه في ظل الأمن والسلام ترفع دعائم الإسلام الخمس من شهادتين، وصلاة وصيام وزكاة وحج. وفي ظلاله تقام الصلوات الخمس ﴿فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، فبالسلم تلتئم الجماعات والجمع ويرفع أذان الإيمان والأمان،

وبه تحفظ الكليات الخمس من دين ونفس وعقل وعرض ومال. وفي ظل السلام تحقق القيم الخمس الحاكمة للشريعة من خير ورحمة، وعدل وحكمة ومصلحة. وبالسلام تحقق القواعد الفقهية الخمس النازمة لكل الشريعة، فالأمور بمقاصدها، والضرر يزال، والعادة محكمة، والمشقة تجلب التيسير، واليقين لا يزول بالشك.

19 - أظهرت جائحة كورونا أن الدولة الوطنية هي الملاذ الطبيعي والضروري لدى الأزمات، فهي الخط الأول في وضع الأطر المناسبة للتصدّي لهذه التحديات.

20 - ينبغي توجيه كل الجهود التأسيسية إلى جعل الانتماء الديني حافزا لتجسيد المواطنة والعيش في ظل الدولة الوطنية.

ثانيا - التوصيات

وقد أوصى المشاركون في الملتقى بما يلي:

- 1 - التأكيد على الحاجة إلى مواصلة البحث عن خطاب جديد مقنع، ومقاربة متجددة تفتح الآفاق وتقرح الحلول بعيداً عن خطاب اليأس والقنوط الذي نُهي عنه المؤمنون: ﴿وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾.
- 2 - استحداث لجنة للحوار والمصالحات والتنمية، تجمع بين الحكماء والوجهاء والعلماء في كل بلد، وتعنى بالوساطات والمصالحات لفض النزاعات ذات الأشكال والأنماط المختلفة، سواء كان مردها إلى ضغائن وإحن تاريخية أو عصبية عرقية وقبلية أو كان سببها الفكر المتطرف والإرهاب. ومن وظائف هذه الهيئة المقترحة التكوين والتدريب على ثقافة الحوار وآلياته ومبادئه وإشكالاته.
- 3 - انشاء وتنظيم قوافل السلام، تتكون من الأئمة والوجهاء من مختلف العرقيات والقبائل في المناطق التي تعاني من الحروب الأهلية والصراعات الدموية. تهدف إلى العمل الميداني المؤثر في نشر قيم التسامح والأخوة وتكون رسل مودة تخفف غلواء الاختلاف وتعزز أواصر المحبة والأخوة داخل المجتمعات.
- 4 - ضرورة أن يصحب هذا الجهد الفكري جهد تنموي يعمل على مساعدة المتضررين وتشغيل العاطلين وتعزيز دور الدولة الوطنية وزيادة حضورها.
- 5 - أشاد المؤتمر بنموذج دولة الإمارات العربية المتحدة في دعم جهود السلام والمصالحات في كل دول العالم وبخاصة في إفريقيا ودول الساحل انطلاقاً من رؤيتها الثابتة لأهمية التعايش والتصالح والتسامح.
- 6 - تأسيس « جائزة إفريقيا لتعزيز السلم » لتكون تشجيعاً وتقديراً لمن لهم

إسهامات بارزة في مجال السلم والمصالحات من علماء ومفكرين وشباب وصناع قرار في القارة الافريقية.

7 - تأسيس منصة إلكترونية تفاعلية لمتابعة التوصيات والاقتراحات وبلورة الأفكار.

8 - تأسيس مقر رئيسي للمؤتمر الإفريقي لتعزيز السلم يُعنى بتعزيز السلم وبث قيم التسامح والتعايش في إفريقيا ودول الساحل في نواكشوط ليكون مقرا لانطلاق أعمال المؤتمر في مختلف دول القارة.

9 - تشجيع وتكثيف لقاء القيادات الدينية بغية إبراز أن الدين يبني الجسور بين الثقافات، ويمكنه أن يكون قوة للسكينة والمصالحات.

10 - تكوين لجان تربوية لإعداد برامج تعليمية لمكافحة أفكار التطرف والغلو.

11 - عقد شراكات بين المؤتمر الإفريقي لتعزيز السلم والمؤسسات الدينية والجامعية الحكومية والخاصة الإقليمية والدولية لتفعيل ومتابعة تنفيذ مضامين إعلان نواكشوط 2020

12 - نشر مخرجات ومضامين هذا الملتقى عبر شبكات التواصل وفي وسائل الاعلام في مختلف دول القارة وبمختلف اللغات الافريقية لتصل رسائله وأفكاره إلى جميع فئات المجتمع.

ويطيب للمشاركين في الملتقى الثاني للمؤتمر الإفريقي لتعزيز السلم أن يعبروا عن صادق شكرهم وجزيل ثنائهم لحكومة الجمهورية الاسلامية الموريتانية على تيسيرها انعقاد هذا الملتقى في أوانه وبمستواه المعهود بأفضل السبل المتاحة في هذه الظروف الاستثنائية، وأن يرفعوا أسمى مشاعر الامتنان لفخامة الرئيس محمد ولد الشيخ العزواني حفظه الله على رعايته الكريمة لهذا المؤتمر. كما يتوجهون بفائق الشكر لدولة الإمارات العربية المتحدة على دعمها لهذا المؤتمر ورعايتها المتواصلة له.

كما يشكر المشاركون فخامة الرئيس محمد بازوم -رئيس جمهورية النيجر على تشريفه للمؤتمر ومشاركته القيمة في أعماله.

داعين الله أن يحفظ الأوطان ويصلح الأعمال ويرفع الوباء والبلاء عن البشرية جمعاء، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وحرر بنواكشوط في 08 رجب 1443 هـ / 10 فبراير 2022م

نص بيان القاهرة الصادر عن المؤتمر الثاني والثلاثين للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

(عقد المواطنة واثره في تحقيق السلام المجتمعي والعالمي)

11 و 12 رجب 1443 هـ / 12 و 13 فيفري 2022

انعقد المؤتمر الدولي الثاني والثلاثين للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة يومي السبت والاحد 11 و 12 رجب 1443 هـ الموافق ل 12 و 13 فيفري 2022م تحت عنوان (عقد المواطنة واثره في تحقيق السلام المجتمعي والعالمي بحضور عدد من وزراء الشؤون الدينية و المفتين ورؤساء الهيئات الإسلامية في البلدان العربية والإسلامية و ببلدان الجاليات المسلمة في اوروبا والامريكيتين وأستراليا والبلدان الافريقية وقد تولى افتتاح هذا المؤتمر الكبير من طرف الدكتور محمد المختار جمعة وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية واشرف على اشغاله التي تمثلت في جلسات علمية قدمت فيها بحوث علمية اعددها أساتذة من الازهر ومن الجامعات المصرية تناولت بالبحث مختلف محاور هذا المؤتمر وكانت مشفوعة بنقاش وحوار زادها ثراء وتناول الكلمة العديد من المشاركين من ضيوف المؤتمر وفي الجلسة الختامية تولى الدكتور محمد المختار جمعة وزير الاوقاف القاء البيان الختامي متضمناً أمرين:

أولاً: مخرجات وتوصيات المؤتمر.

مخرجات وتوصيات المؤتمر

1. التأكيد على أن مفهوم الدولة مفهوم مرن متطور، وأن محاولة حصر مفهوم الدولة في أنموذج تاريخي معين وفرضه نمطاً ثابتاً أو قالباً جامداً إنما يعني غاية التجحجر والجمود والوقوف عكس اتجاه عجلة الزمن، بما يشكل شللاً لحركة الحياة، فالتطور سنة الله في كونه.
2. إذا كان العلماء يقررون أن الفتوى قد تتغير بتغير الزمان أو المكان أو الحال فإن المجال الأرحب لذلك هو مجال السياسة الشرعية في بناء الدول ونظم الإدارة.
3. أن ما أتاحه الشرع الشريف لولي الأمر من التصرف بحكم الولاية في ضوء الحفاظ على الثوابت باب شديد المرونة والسعة، ينبىء عن عظمة الشرع الشريف، وحرصه على تحقيق مصالح البلاد والعباد، فحيث تكون المصلحة الراجحة فثمة شرع الله الحنيف.
4. أن المواطنة مصطلح أصيل في الإسلام، يتجاوز التنظير الفلسفي إلى سلوك عملي، وأن المواطنة الحقيقية لا إقصاء معها، ولا تفريق فيها بين المواطنين، فالفكر الإسلامي يضمن بثرائه وتجاربه أن نبني حضارات قائمة على مواطنة حقيقية بغض النظر عن العقيدة أو اللون أو العرق.
5. التأكيد على أن الدولة الوطنية هي أساس أمان المجتمعات جميعها، وأن العمل على تحقيق وترسيخ المواطنة التفاعلية والإيجابية الشاملة واجب الوقت، وأن بناء الدولة والحفاظ عليها

واجب ديني ووطني، والتصدي لكل محاولات هدمها أو زعزعتها ضرورة دينية ووطنية لتحقيق أمن الناس وأمانهم واستقرار حياتهم.

6. التأكيد على أن العلاقة بين الفرد ووطنه هي علاقة تبادلية أيًا كانت عقيدة هذا الفرد أو عرقه، وهي علاقة تحترم خصوصية الأفراد من حيث الحقوق، وتحترم حق المجتمع من حيث الواجبات، كما تراعي الحق العام وتحترمه.

7. ضرورة العناية ببرامج الحماية الاجتماعية للطبقات والفئات الأولى بالرعاية، مع تامين المؤتمر عاليًا لجهود وبرامج الدولة المصرية في برامج الحماية الاجتماعية، وعلى وجه أخص مبادرة حياة كريمة التي أطلقها سيادة الرئيس / عبدالفتاح السيسي رئيس جمهورية مصر العربية لتنمية الريف المصري.

8. تنمية ثقافة المواطنة لدى النشء منذ نعومة أظافرهم، وتدريب الكوادر الوطنية وبخاصة الشبابية على خلق حالة من الوعي بأهمية المواطنة واحترام الآخر، والتأكيد على حريته في اختيار معتقده وحقه في إقامة شعائر دينه.

9. التأكيد على أن أوطاننا أمانة في أعناقنا يجب أن نحافظ عليها - أفرادًا ومؤسسات، وشعوبًا وحكومات - وبكل ما أوتينا من قوة وأدوات وفكر.

10. حتمية تكثيف الخطاب الديني والإعلامي لنشر أخلاقيات التعامل مع المجتمع الرقمي، وتوعية المواطنين جميعًا بعدم نشر أو ترويج الأخبار التي من شأنها الإضرار بالأمن أو إشاعة الفتنة، مع تشديد عقوبات هذه الجرائم بما يحقق الانضباط السلوكي والردع اللازم للمتحرفين عن سبل الجادة.

11. تدريب الأئمة والمعلمين ومقدمي البرامج الدينية والثقافية والإعلامية على غرس قيم التسامح، والتعايش السلمي، والقيم الإنسانية المشتركة.

12. تصافر الجهود العالمية للعمل على تفكيك بنية خطاب العنصرية والكراهية، وتصحيح المفاهيم التي قد تؤجج الصراعات بين البشر، وتقديم التفسير الصحيح للنصوص التي يستغلها المتطرفون لترويج أيديولوجياتهم.

13. التأكيد على دور البرلمانات التشريعي والرقابي في ترسيخ دولة المواطنة التي لا تميز بين المواطنين على أساس الدين أو العرق أو اللون، وتؤمن بالتنوع، وتحترم التعددية وتعدّها ثراءً للمجتمع.

14. الدولة أولاً ومن خلالها تُقرّ جميع الحقوق، فدولة المواطنة هي الأساس الذي يبنى عليه السلام المجتمعي والعالمي، وأي إضعاف للدولة أو المساس بسلامتها واستقرارها هو تهديد للسلام والأمن المجتمعي والعالمي، وإفساح المجال للجماعات الإرهابية والميليشيات الطائفية لتعيث في الأرض فسادًا.

15. الإشادة بتجربة مصر المتميزة تحت قيادة سيادة الرئيس / عبدالفتاح السيسي رئيس الجمهورية في استعادة الدولة الوطنية والحفاظ عليها، وفي مواجهة الإرهاب وترسيخ دولة المواطنة، وبناء جمهورية جديدة ترتقي بجودة الحياة لكل المواطنين، وتساهي بينهم في الحقوق والواجبات أيًا كانت دياناتهم أو مذاهبهم، وتفتح أبواب المشاركة واسعة لكل أبناء المجتمع على قدم المساواة.

صديقي ابراهيم عيسى ... إلّا هذه

بقلم صالح الحاجة

كنت أيام الرئيس المصري الراحل حسني مبارك كثيراً ما أتردد على مصر المحروسة فانا مصري الهوى وعروبي الانتماء ولا اخفي ذلك وهل الحب يمكن اخفاؤه؟ ثم نحن العرب في ملتنا واعتقادنا اذا احببنا متنا... وكلما حللت بالقاهرة كنت كل صباح اقطني من صديقي محمود بائع الجرائد في ميدان التحرير كمشة من الجرائد تكون جريدة «الدستور» على راسها فهي التي احرص على قراءتها اكثر من سواها لان رئيس تحريرها الكاتب الصحفي ابراهيم عيسى صاحب الثقافة الموسوعية والمطلع على التراث العربي الإسلامي اطلعاً يذهلني... ويدوخني... ثم لان للرجل أسلوبه الجميل الراقي الذي طوع لغتنا العربية وأخرجها من التقعر... والتعقيد... والصعوبة التي لا مبرر لها.. وادخلها هو وسواه إلى فضاء العصر... والسهولة... والبساطة... وكنت أقرأ وما زلت بشغف... وحب.. ووجد في ما يكتبه متعة... وروعة... وسلاسة... فان من البيان لسحرا... أما الجرأة فحدث ولا حرج... وكان يوجه لحسني مبارك ونظامه السهام النارية أحيانا... وحتى القاتلة حيناً مما جعلني اصفه بأطول لسان مصر... وقد حار... وثار... واحتار حسني مبارك معه فأوقف له جريدته عديد المرات ولكن ما ان تعود إلى الصدور حتى تعود حليلة إلى عاداتها القديمة... وتستأنف بسرعة منهجها القديم فتفسو... وتفضح... وتكشف... وتصرخ... وتمزق رداء الصمت الذي صنعه صفوت الشريف الرجل القوي من نار... واسمنت... وحديد... وتهديد... ووعيد... وجرب معه السجن فلم يفلح... بل بالعكس كان يخرج من السجن في كل مرة وقد ازداد لسانه طولا... وقلمه جرأة... وجماهيريته اتساعا... وشعبيته اكتساحا... وانتقل عيسى في السنوات الاخيرة من الكتابة الصحفية النارية إلى التأليف الروائي فصدرت له عدة روايات اخرها رواية «كل الشهور... يوليو»... وفي ظرف عدة شهور اعيد نشرها 10 مرات... وهو امر في العالم العربي مثير للدهشة... ومن هنا يمكن ان نصف عيسى بانه «ابو الطبعات» في مصر... وغير مصر... فهنيئاً له بهذا النجاح الجماهيري الكاسح... ولم يقتصر على التأليف الروائي فلقد اقتحم ميدان التنشيط التلفزيوني فقدم عدة برامج ناجحة منها برنامج الاخير في قناة «الحرّة» الذي فتح عليه ابواب جهنم وقد يوصله إلى السجن... لقد انكر وجود «الاسراء والمعراج» وزعم انها حكاية مفبركة فبركها بعض الفقهاء... واذا بالقيامة تقوم... واشعل عيسى بهذا الانكار نار الفتنة... وكنت ولعلني مازلت اعتقد ان عيسى اذكى من ان يورط نفسه في قضية لا نفع منها... ولا جدوى فيها... فماذا سنجني من النبش في قضية من الماضي لا تقدم ولا تؤخر في مانحن فيه؟... ان اثاره مواضيع من هذا القبيل انما بصراحة لن تزيد في مساحة الضباب العربي الذي يغطي نار تخلفنا الاضبابا و اتساعا... وعمقا... وكثافة... فما هكذا تساق الابل يا سي ابراهيم...

Certes, on ne peut pas voir Dieu, et bien souvent l'Homme donne trop d'importance à quelque chose qu'il peut voir et toucher; il peut le vénérer au point de lui accorder un statut de divinité. Ainsi un objet animé ou inanimé est-il partiellement ou entièrement considéré comme étant égal à Dieu et reçoit parfois même le nom de Dieu.

En faisant cela, l'Homme commet une grave erreur. Les prophètes ont sans cesse appelé l'humanité à réserver le statut de grandeur suprême à Dieu seul. chaque objet et chaque créature posée sur le piédestal d'une divinité doivent être privées de leur statut de grandeur illusoire. En considérant la vraie nature des choses, l'Homme ne peut adorer que Dieu seul, sans rien lui associer dans son adoration.

Chapitre 2 : L'univers témoigne

«Votre Dieu est Unique. Il n'y a d'autre divinité que Lui. Il est le Dieu de la bonté et de la miséricorde. Dans la création des Cieux et de la terre, dans l'alternance de la nuit et du jour, dans les vaisseaux qui sillonnent la mer, chargés de tout ce qui peut être utiles aux Hommes; dans l'eau que Dieu précipite du ciel pour vivifier la terre, après sa mort, et dans laquelle tant d'êtres vivants pullulent; dans le régime des vents et dans les nuages astreints à évoluer entre ciel et terre; dans tout cela n'y a-t-il pas autant de signes éclatants pour ceux qui savent réfléchir?»⁽⁵⁾

L'univers en expansion qui s'étend à l'infini dans toutes les directions est, en lui-même, un témoignage sublime de la grandeur de Dieu. L'existence d'un univers immensément vaste est une preuve parlante de l'existence de Dieu. L'harmonie parfaite et l'interaction minutieuse en dépit de la plénitude de tout ce qui existe témoigne de l'unicité de Dieu. Créateur et Maître absolu de l'univers.

Tant d'éléments sont habilement arrangés pour subvenir aux besoins de l'Homme. Tous démontrent que le créateur de l'homme est un Dieu d'une puissance et d'une miséricorde incommensurables. Avant même de créer l'Homme, Dieu l'a déjà pourvu de tout ce dont il a besoin pour vivre. L'utilité inhérente à la plénitude des biens et aux phénomènes naturels fournit un indice certes silencieux mais certain du fait que l'univers a été consciencieusement planifié et qu'il comporte une finalité qui lui est propre.

La variété infinie des espèces animales qui repose sur le même besoin d'alimentation et d'approvisionnement en eau met en évidence l'étendue de la puissance du Créateur.

(SUITE AU PROCHAIN NUMÉRO)

(5)Coran: sourate n°2 al-Baqara (la Vache), versets 163-164

Cette multiplicité ne signifie pas seulement la richesse du savoir religieux de nos éminents savants, mais elle signifie aussi et avant tout la richesse du message coranique.

C'est dans cette perspective que les éditions al-Azhar ont l'honneur de présenter ce petit livre à leur lecteurs. Il s'agit de la version française traduite de l'anglais, du livre écrit par un grand savant musulman d'origine pakistanaise, le professeur Mawlana wahiddudin KHAN.

L'auteur, à travers cet ouvrage, nous a ouvert d'autres horizons de lecture de la parole divine. Ainsi, notre lecture va au delà du texte écrit creusant les profondes significations permises par la sainte parole. L'auteur nous a permis aussi de comprendre que l'aspect miraculeux du Coran, ne réside pas uniquement au niveau linguistique et scientifique. Le miracle coranique réside dans chaque verset révélé.

Pour résumer, la lecture de ce livre nous ouvre de nouveaux horizons dans notre relation avec le coran.

L'éditeur, Al-Azher

Chapitre 1 : L'erreur Fatale

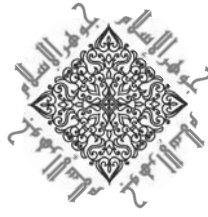
«ô Hommes! Adorez votre seigneur qui vous a créés, vous et ceux qui vont ont précédés! Peut-être obtiendriez-vous ainsi le salut de votre âme. C'est Dieu qui, de la terre, a fait pour vous un lit, et qui, du firmament, a fait pour vous un abri. C'est lui qui précipite du ciel la pluie, grâce à laquelle il fait germer toutes sortes de récoltes pour assurer votre subsistance. N'attribuez donc pas d'associés à Dieu; vous savez parfaitement qu'il n'en existe point»⁽⁴⁾

L'Homme ne peut pas survivre par lui-même. Il a besoin de multiples ressources pour rester en vie dans ce monde: La gravitation pour ce maintenir à la surface de la terre, une atmosphère qui lui fournit de l'oxygène en permanence, le soleil pour lui envoyer lumière et chaleur, mais il a besoin aussi d'eau en abondance, sans laquelle toute vie sur terre serait impossible et d'une multitude d'aliments pour se nourrir au quotidien.

Dieu, en tant que créateur de l'homme et de tout ce qui se trouve dans l'univers, a octroyé de prodigieuses provisions de tous ces éléments indispensables à la survie de l'Homme sur terre.

Dieu a donc créé l'univers entier et tout ce qu'il contient se trouve sous Son contrôle. Et le bon sens pousse l'Homme à accepter Dieu, en tant que créateur approvisionneur et seigneur sans Lui associer quoi que ce soit dans sa souveraineté suprême.

(4)Coran: sourate n°2 al-Baqara (la Vache), versets 21-22



Miracles du Coran

Mawlana Wahiduudin KHAN

Introduction

Le Coran, le livre révélé il ya 15 siècles au prophète Mohammad (SBDL)⁽¹⁾ analphabète reste le miracle par excellence qui a accompagné l'ultime des religions divines.

C'est dans cette ultime révélation que nous trouvons le verset qui met en évidence un des aspects de ce miracle: **«C'est un livre béni que nous t'avons révélé afin que les Hommes⁽²⁾ de bon sens en méditent les versets et s'y arrêtent pour réfléchir»⁽³⁾**

Le musulman est appelé à lire le Coran avec méditation afin de comprendre le sens de cette révélation. Sans cela, la lecture ne sera qu'un simple exercice de répétition.

Le coran est le message adressé à toute l'humanité depuis sa révélation jusqu'à la fin des temps. Il a donc fallu que le message de dieu arrive à toucher par sa parole chacun d'entre nous.

Les savants musulmans, n'ont cessé à travers les siècles de nous rapprocher le sens de cette parole, d'où la multiplicité des livres de d'exégèse «tafsir».

(1)SBDL صلى الله عليه وسلم : salutation et bénédiction de Dieu sur Lui

(2)Quand nous parlons de l'Homme ou des Hommes, cela sous-entend l'homme et la femme en tant qu'être humain

(3)Coran: sourate n°38 Sâd, verset29.

SOMMAIRE

Miracles du Coran	3
-------------------------	---

Mawlana Wahiduudin KHAN



JAWHAR EL ISLAM

Revue culturelle islamique - Tunisie

Numéro 3/4 - 21ème année